

**أخلاق القوة الغربية وانعكاساتها  
علي الفكر الإسلامي  
" دراسة نقدية "**

**The Ethics of Western Power and its  
Implications on Islamic Thought  
"A Critical Study"**

**إعداد**

د. عصام كمال عبده محمد المصري  
أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد  
كلية الآداب - جامعة دمنهور

**مجلة الدراسات التربوية والانسانية، كلية التربية، جامعة دمنهور،  
المجلد الرابع عشر - العدد الرابع - الجزء الرابع ( ب ) - لسنة 2022**



## أخلاق القوة الغربية وانعكاساتها علي الفكر الإسلامي

### " دراسة نقدية "

د. عصام كمال عبده محمد المصري

#### الملخص :

تتناول هذه الدراسة فلسفة أخلاق القوة الغربية عند أشهر فلاسفتها، ميكافيلي الذي استدعي أخلاق القوة من السوفسطائيين، وأضاف إليها أن الغاية تبرر الوسيلة؛ ليكون هذا المبدأ القاعدة الانطلاقية الأولى لاستخدام القوة دون أخلاق؛ ليندرج تحت هذا المفهوم القمع والعنصرية، كذلك هوبز الذي استلهم أخلاق القوة من الأبيقورية القائمة على مبدأ اللذة، وأضاف إليها سيكولوجية الأنانية، مؤكداً على أن الأخلاق يجب أن تقوم على المنفعة، فيكون الإنسان منافساً لأخيه الإنسان، فكل فرد في صراع مع الآخر من أجل نفس، هذه الأفكار الغربية عند ميكافيلي وهوبز تدعو إلى مكر الذئب، وضراوة الأسد، وغدر الثعلب، إنها قوة تدعو إلى التخريب ونشر الفوضى الفلسفية التي كان لها امتدادها وانعكاساتها وتأثيرها فكرياً وممارسةً على العالم الإسلامي، حيث كانت سبباً لإبادة ملايين البشر دون وازع من إنسانيه أو رادع من ضمير. إن ما نراه اليوم ليس إلا سبباً واحداً لانعكاس القوة الغربية المفرطة التي خلت من القيم ومكارم الأخلاق، فكان الاستبداد والقمع من أجل أن يتربع الأقوى على عرش الرفاهية .

إن نشوء إسرائيل - علي سبيل المثال - كان وليد هذه الأفكار الفلسفية الغربية المجردة من الضوابط والإنسانية والأخلاق، وما زالت هي السبب المباشر في بقائه وتقويته بكل أنواع الأسلحة التي تسمح له بالبقاء قوياً، في مواجهه أصحاب الحق رغماً عن إرادة شعوب العالم الإسلامي . مما يعكس أثر أخلاق القوة الغربية علي الفكر الإسلامي .

**الكلمات المفتاحية :** أخلاق القوة ، الفكر الغربي ، الفكر الإسلامي ، ميكافيلي ، هوبز ، نيتشه ، الفاشية ، القوة المهذبة ، رؤية نقدية .

## **The Ethics of Western Power and its Implications on Islamic Thought "A Critical Study"**

**Dr. Essam Kamal Abdo Mohamed Al-Masry**  
**Assistant Professor of Islamic Ethics**  
**Faculty of Arts, Damanhour University**

**“O Allah, we seek refuge in You from the temptation of saying and from depriving success.”**

### **Abstract:**

This study deals with the philosophy of the ethics of Western power according to its most famous philosopher, Machiavelli, who invoked the ethics of power from the Sophists, and added to it that the end justifies the means; For this principle to be the first starting rule for the use of force without morality; To fall under this concept is repression and racism, as well as Hobbes, who was inspired by the morality of power from Epicureanism based on the principle of pleasure, and added to it the psychology of selfishness, emphasizing that morals must be based on benefit, so that man is a competitor to his fellow man, as each individual is in conflict with the other for himself. These Western ideas of Machiavelli and Hobbes call for the cunning of the wolf, the ferocity of the lion, and the treachery of the fox. It is a force that calls for sabotage and the spread of philosophical chaos that had its extension and repercussions and its impact on thought and practice in the Islamic world, as it was a reason for the annihilation of millions of people without any restraint from humanity or deterrence from conscience.

What we see today is only one reason for the reflection of excessive Western power that is devoid of values and morals. It was tyranny and oppression in order for the strongest to sit on the throne of prosperity. The emergence of Israel - for example - was the result of these Western philosophical ideas devoid of controls, humanity and, morals, and they are still the direct reason for its survival and strengthening it with all kinds of weapons that allow it to remain strong, in the face of those who have the right against the will of the peoples of the Islamic world. This reflects the impact of the morals of Western power on Islamic thought.

**Keywords: Ethics of Power, Western Thought, Islamic Thought, Machiavelli, Hobbes, Nietzsche, Fascism, Polite Power, Critical Vision.**

## المقدمة .

تشكل الأخلاق دور العامل الحاسم في صلاح الفرد والجماعة، ورفقي الأمم والشعوب، وبغياب البوصلة الأخلاقية عن المجتمعات وسيادة أخلاق القوة، والعنصرية، خاصة في ظل ما يعانيه العالم اليوم من انفلات أخلاقي، وحالة الفوضى بصورة أو بأخرى أدى إلي التطرف، والعنف واعتناق الفكر التدميري، نحن إذن أمام موضوع متجذر في التاريخ، وله انعكاسات خطيرة علي الفكر الغربي غير أنه ما زال مطروحاً في الفكر الإسلامي علي استحياء .

كما تشكل الأخلاق - أيضاً - ركناً أساسياً من أركان الوجود الاجتماعي ، ونسقاً حيويّاً في نسيج الحياة الإنسانية المعاصرة . فالأخلاق نظام يوجه حياة الفرد، وينهض بها إلى أرقى مستوياتها الإنسانية . والإنسان لا يحقق جوهره الإنساني إلا في صورته الأخلاقية ؛ لأنه الكائن الوحيد الذي يضحى برغباته وميوله؛ رغبة في السمو الأخلاقي، وسعيّاً إلى تجسيد قيم: الحق، والخير، والجمال . وكل القيم والفضائل التي تشكل جوهر الحياة الأخلاقية وغايتها . وتأسيساً على ذلك، فرض البحث الأخلاقي نفسه مطلباً حضارياً للأمم والشعوب، وشكّل منطلقاً للعديد من الدراسات الأخلاقية ، ومن هنا تزداد الأطروحات حول الجدليات الفلسفية المرتبطة بمنظومة القيم الأخلاقية ، التي يجب تبنيتها حول العالم ، وذلك انطلاقاً من زخم نسق تداعيات الاعتراف بالمبادئ الأخلاقية علي مستوى الاتجاهات ، والتيارات ، والرؤى . خاصة فيما يتعلق بأخلاق القوة .

لقد أدت أخلاق القوة الغربية إلي الغطسة وإبادة الملايين تحت مختلف الشعارات القومية والعنصرية والدينية، وإلى حروبٍ استُخدمت فيها كل أنواع الأسلحة وصار قتل الأبرياء مبرراً تحت أعدار واهية صارت مدعاة للسخرية ، كنشر الديمقراطية والرخاء، وكانت لأفكار ميكافيللي وهوبز ونييتشه .... إلخ حول استخدام القوة دوراً بارزاً في مزيد من إراقة الدماء، والقتل، والعنصرية البغيضة ، في العالم الغربي والإسلامي أيضاً .

ولأننا في العالم الإسلامي في موضع المُتلقّي كانت صدي هذه الأفكار علي أمتنا، بين التصدي لهذه الأفكار المفخخة، وبين الاحتفاظ بالدفاع عن الموروث باعتباره المخزون الذي

يحمل مكنونه الهوية ، والعقيدة، والفكر، والتي يجب حمايتها والصد عنها في مواجهة موجات المد الآتي من الفكر الغربي، هذه الأفكار الغربية أصابت هويتنا في الصميم ، وجعلها عرضة للشك فيما لديها ، والقلق في مواجهة أخطارها، والذي يحمل الكثير من الغناء الضار أكثر مما يحمل من الجديد النافع . الأمر الذي عرضنا إلي التآكل الذاتي من داخلنا وفتح باب السيطرة من الخارج الغربي ، وشيئا فشيئا انحلت العري ، وانفردت العقيد ، وبدأت هويتنا في الذوبان ؛ ليتحول العالم الأضعف إلي قطيع من البشر . ومن هنا كان لابد من وقفة تقييمية لأخلاق القوة الغربية وتأثيرها علي العالم الإسلامي .

● إن التطور الذي شهده العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وحتى الحرب الروسية الأوكرانية ، يدفعنا إلي تساؤلات مهمة عن سبب الغياب شبه التام للجانب الأخلاقي لدى الأطراف الداعية إلي استخدام القوة المتعصبة ؟ ولماذا تختفي أخلاقيات القوة خلف ستار مسرح العمليات القتالية في الفكر الإسلامي ؟ وأين ذهبت آراء وأفكار رواد المدرسة الأخلاقية منذ الفلسفة اليونانية وإلي الآن ؟ أين من نادوا من العالم الإسلامي بأن الخلق الفاضل يشكل صالح الإنسان وضرورة ازدهارنا كبشر نعيش في مجتمع واحد ؟ أين من دعوا إلي ضرورة وجود قيم أخلاقية إسلامية حتى في حالات الحرب ؟ لماذا طغت أخلاق ميكافيللي الثعلبية الماكرة ؟ ولما استشرت أخلاق هوبز الذنبية الغادرة الضارية ؟ ولما خفت صوت الحق الداعي إلي السلام والتآخي حتى ولو كان من باب الإنسانية ؟ تساؤلات ملحة تحثنا إلي خوض غمار حقيقة أخلاق القوة في الفكر الفلسفي الغربي والذي لا شك أنه ينعكس سلباً وإيجاباً علي عالمنا الإسلامي . وإيضاح معالمها من خلال دراسة نقدية من منظور إسلامي .

ومما دفعني إلى اختيار هذه الورقة البحثية جملة من الأسباب منها :

1- الإشكاليات الأخلاقية التي ما زالت تطرح نفسها بقوة كبيرة في الفكر الغربي والإسلامي ، فما زالت المباحث الأخلاقية مطروحة في الصراع الفلسفي والأيدولوجي بين مختلف النظريات والتيارات الفكرية الأخلاقية . وقد أدت هذه الصراعات الأيدولوجية ، إلى تراكم في نسق المفاهيم والدلالات التي تتعلق بمفهوم أخلاق القوة ذاته ، حتى أصبح مفهوم يعاني من الغموض والالتباس ، نظرا للتنوع الكبير في النظرة إليه ، وتحميله فيضاً من

- التصورات الأيديولوجية المتناقضة . وإذا كان مفهوم أخلاق القوة يشمل عدداً كبيراً من المفاهيم الفرعية ، فإن هذه المفاهيم الفرعية - أيضاً - وقعت في دائرة الإشكال الفكري ، وأصبحت عرضة للتفسيرات المختلفة . وفي دائرة هذا كله أصبح من الصعوبة بمكان ، تقديم رؤية منظمة متناسقة لمفهومه بمضامينه الفرعية المتنوعة . الأمر الذي كان سبباً لتناول هذه الإشكاليات الأخلاقية ومنها أخلاق القوة خاصة عند : ميكيافيللي ، وهوبز .
- 2- خطورة فلسفة القوة في الفكر الغربي وانعكاسها علي العالم الإسلامي ، والتي لا تعترف بالأخلاق بل تدعو إلي مكر الذنب ، وضراوة الأسد ، وغدر الثعلب . إنها قوة تدعو إلي التخريب والسيطرة ، ونشر الفوضى ، لذا كان لزاماً عليّ أن أتناول هذه الرؤى الفلسفية دراسة متأنية لمعرفة مدي امتداداتها وتأثيراتها فكرياً وممارسةً علي العالم الإسلامي . والتي كانت سبباً لإبادة ملايين البشر ، دون وازع من إنسانية ، أو رادع من ضمير .
- 3- أصبح النظر في أخلاق القوة في الفكر الغربي والإسلامي من جديد مطلباً ملحاً تدعو إليه حالة الهيمنة الغربية المُفرطة في استخدام القوة وظروف المتغيرات العالمية حيث تُباح كل الغايات ، فالمتغيرات العالمية تدفع العالم الإسلامي دفعاً لنكون في ركابها ، وتسوقنا إلي مستقبل لا نعرف معالمه وخريطته ؛ لنسبح في محيط رياحه عاصفة ، وأمواجه عاتية ، وآثاره خطيرة ومدمرة .
- 4- كانت آراء ميكافيللي وهوبز عن أخلاق القوة في سياق حديثهما السياسي لذلك اعتمدت علي بعض المراجع السياسية القليلة جداً ، مجبراً علي ذلك فمحاولة الفصل بين الأخلاق والسياسة جاءت في مرحلة متأخرة من حياتهما ، كما لم يتم طرح أفكارهم عن أخلاق القوة من جانب أخلاقي صرف لذا آثرت خوض غمار هذا الموضوع الشائك قدر المستطاع .
- 5- أما عن سبب اختياري لميكافيللي ، وهوبز ، فراجع إلي أنهما كانا أكثر أثراً وتأثيراً علي الأنظمة الغربية نتيجة أفكارهم الداعية إلي استخدام القوة ، والتي أثرت علي فلاسفة العالم الإسلامي ، ورغبة في إلقاء الضوء علي الجانب الأخلاقي المهمل في فلسفتها ، فُجّل

الدراسات ركزت علي الجانب السياسي فقط ، بالإضافة إلي مدي التشابه الكبير في رؤيتهما حول أخلاق القوة وإن كانا قد اختلفا في طريقة المعالجة .

6- إظهار الجانب المضيء من أخلاق القوة في الفكر الإسلامي من خلال تقييم الفكر الغربي الحديث ، ففرق شاسع بين أخلاق القوة الغربية والإسلامية ، ففي الإسلام جاءت لردع الشر والأشرار ، ولردع الباطل، أما في الفلسفة الغربية فكانت القوة هي الفرعنة والغطرسة والتأليه، وهي ليست لخدمة الإنسانية ، وإنما لخدمة لون من ألوان الإنسان ، هو الإنسان الأبيض. إن القوة في الإسلام نوعان : قوة مادية عسكرية، وقوة معنوية هي الأمانة، والثانية هي الحاكمة على الأولى والموجهة لها، تحفظها من الطغيان ، وتمنعها من الظلم والجبروت، وتحصنها بداعية الخوف والخشية من الله عز وجل ، في حين القوة الغربية مدفوعة بدافع الغرور والأنانية والتمرد. 7- كون البحث يعالج قضية واقعية حقيقية يمر بها العالم الإسلامي الآن ، فإنه لا بد من معالجته معالجة معاصرة تتبنى مفاهيم الشريعة الإسلامية، فصارت الوسيلة في العالم الإسلامي أيضاً هي الغاية، واختفت الغاية الحقيقية من الوجود الإسلامي المعاصر. ولذلك اضطربت أمور المسلمين، وشوه الإسلام بأبشع تشويه، نتيجة عدم التفكيك بين المعطيات التاريخية للوسيلة وبين الغايات الكبرى، ومقاصده الكبرى .

#### - الدراسات السابقة :

● من خلال البحث في أخلاق القوة في الفكر الغربي والإسلامي نجد عدداً قليلاً جداً من الدراسات - علي حد علم الباحث- التي تناولت هذا الموضوع ، فلم تنل القدر الكافي من الدراسة والتحليل حتى الآن ، ويمكن عرض ما أمكن الوصول إليه من دراسات- وهي حديثة العهد - علي النحو التالي :

1- أحمد إدريس الطعان: أخلاق القوة بين المفهوم الإسلامي والغربي دراسة مقارنة، والتي نشرت في مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية المجلد (27) العدد الثالث، 2011 .

• هدف أحمد إدريس الطعان إلي الوقوف عند سؤال الأخلاق في الفلسفة الغربية منذ نهضتها الأولى في العهد اليوناني إلي العصر الحديث وعصر الأنوار ، وبالأخص السياسية منها وتناولت الدراسة مقارنة مختصرة بين الفلسفة الغربية ، والرؤية الإسلامية . معتمدة علي المنهج التاريخي الاستقرائي المقارن . وتوصل المؤلف إلي أن معيار الأخلاق منذ أفلاطون إلي فرنسيس فوكوياما ، وصموئيل هنتجون علي مستوى التنظير الفلسفي ومنذ نابليون ، وهتلر ، وستالين وإلي اليوم . تقوم علي مستوى الممارسات السياسية العملية علي : القوة ، والأناية ، والعنصرية .

• لا شك أنها دراسة قيمة ، غير أنه لم يوضح فيها الأصول والمنطلقات الفلسفية التي استقي منها ميكافيللي وهوبز رؤيتهما حول أخلاق القوة ، كما لم تتناول المبررات التي جعلت هوبز ينادي باستخدام القوة ويؤكد علي أن العالم لا مكان فيه للعدالة . أما عن القوة في الفكر الإسلامي فجاء في لمحة سريعة دون الوقوف علي آثار المد الغربي لمفهوم القوة علي الفكر الإسلامي ، في حين كان ذلك إشكالاً رئيساً في دراستي اجتهدت للإجابة عنه تفصيلاً .

2- مخطاري سعيدة وحارتي فتيحة : أخلاق القوة عند ميكافيللي وتأثيرها علي الأنظمة السياسية المعاصرة ، جامعة جيلالي بونعامة خميس مليانة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، 2017 .

• هدفت الدراسة إلي إبراز دور الفكر السياسي الميكافيللي في كيفية تحقيق الوحدة القومية في إيطاليا وتأثير هذا الفكر علي الأنظمة السياسية المعاصرة . معتمدة علي المنهج التحليلي والمنهج التاريخي . وتوصل المؤلفان إلي أن ميكافيللي قد قام بالترقية بين دراسة السياسة ودرسته للشؤون الأخلاقية ، وأكد علي عدم وجود أي رابط بينهما .

• جاءت دراسة مخطاري سعيدة وحارتي فتيحة قيمة ووافية في محتواها ، غير أنها تناولت أخلاق القوة من جانبها السياسي عند ميكافيللي - فقط - وركزت علي أثر أفكاره علي الأنظمة السياسية المعاصرة دون التركيز علي الجانب الأخلاقي . كما لم يتناول المؤلفان حالة الطبيعة البشرية عند هوبز رغم أهميتها . وأخيراً لم يتناولوا مدي أثر أخلاق القوة الذي تركه ميكافيللي

وهوبز علي مستوي الفكر ، خاصة علي الفلاسفة اللاحقين ، الأمر الذي رأيت طرحه في هذه الورقة البحثية .

• كلمة حق ،،، تنبقي هذه الدراسات السابقة هي المُلهم الأول والحافز الأكبر لنا علي اكتمال الفكرة وتمامها ، وما سبق يُعدّ توضيحاً لمأ تختلف عنه هذه الورقة البحثية المتواضعة ، وما أود التأكيد عليه أنه لا توجد دراسة واحدة عن أخلاق القوة - علي حد علمي - تجمع بين ميكافيللي وهوبز رغم التأثير الذي تركوه علي السابقين لهما عبر عصور مختلفة . رغم خطورة أفكارهما والتي أنتجت أنظمة تميل إلي الديكتاتورية ، والتعصّب ، والعنصرية . أما عن هوبز فلم تقع يدي علي دراسة واحدة تناولت أخلاق القوة عنده فُجّل الدراسات ركزت - فقط - علي جانب العقد الاجتماعي ، وحالة الطبيعة ، والحق الطبيعي لديه . الأمر الذي كان دافعاً قوياً ، وحافزاً أصيلاً لخوض غمار هذا الموضوع ، مستقيماً من آراء ميكافيللي وهوبز السياسية المُغلقة بالأخلاق ، الجانب الخفي من مؤلفاتهما ، راجعاً إلي مصادرهما الأصلية ، وأمّهات الكتب التي تُرجمت عنهما .

- إشكالية الدراسة .

سيكون - بإذن الله تعالى - محور هذه الدراسة هو محاولة الإجابة عن التساؤل المحوري الهام :  
ما انعكاسات أخلاق القوة الغربية - فكراً وتطبيقاً - علي الفكر الإسلامي ؟ وتتطلب الإجابة عن هذا السؤال الإجابة عن بعض الأسئلة الفرعية علي النحو التالي :

1- ما الأصول والمنطلقات الفلسفية التي استقي منها ميكافيللي وهوبز رؤيتهما حول أخلاق القوة ؟

2- إلي أي مدي أثرت ظروف العصر التي عاشها ميكافيللي وهوبز في رؤيتهما عن القوة ؟

3- لماذا كانت رؤية ميكافيللي وهوبز متفقة تماماً حول طبيعة الإنسان الأنانية؟

4- لماذا كانت المسيحية رغم دعوتها إلي مكارم الأخلاق في مرمي النار الميكافيللية والهوبزية؟

5- لماذا اعتبر ميكافيللي القوة من أهم الغايات دون النظر لشرعية الوسيلة وأشكالها أو أخلاقياتها ؟

6- لماذا أكد ميكافيللي علي أن دولة الأخلاق تنهار في حين أن دولة القوة تستمر ؟

- 7- ما المبررات التي جعلت هوبز ينادي باستخدام القوة وأن العالم لا مكان فيه للعدالة ؟
  - 8- هل كان لأخلاق ميكافيللي الثعلبية وهوبز الذنبية أثراً ملموساً فكرياً وممارسة ؟
  - 9- كيف كانت أخلاق القوة من منظور الدين الإسلامي خاصة في عالمنا المعاصر ؟
  - 10- لماذا قوة الأخلاق في الإسلام كانت البديل عن أخلاق القوة الوضعية الغربية ؟
- محتوى الدراسة .

لتدقيق فروض هذه الدراسة ، والإجابة عن تساؤلاتها ، وفي ضوء منهجيتها الفلسفية ، تم تقسيم الدراسة إلي العناصر التالية :

أولاً : مفهوم أخلاق القوة ومنابعها الفلسفية عند ميكافيللي وهوبز .

• تناولت فيه أخلاق القوة عند السوفسطائيين في الفلسفة اليونانية تلك التي أثرت في أفكار ميكافيللي إلي حد كبير . حيث اجتر أخلاق القوة من السوفسطائية وأضاف إليها أن الغاية تبرر الوسيلة . ليكون هذا المبدأ القاعدة الانطلاقية الأولى لاستخدام القوة دون أخلاق ليندرج تحت هذا المفهوم - أيضاً - القمع ، والعنصرية .

• ثم تناولت الأخلاق الأبيقورية والتي أثرت في فلسفة هوبز . حيث اجتر أخلاق القوة من الأخلاق الأبيقورية القائمة علي مبدأ اللذة ، وأضاف إليها سيكولوجية الأنانية . مؤكداً علي أن الأخلاق يجب أن تقوم علي المنفعة . وأن الإنسان في سعي دائم إلي الأمجاد والكرامات علي غير حالة الكائنات الأخرى ، وبالتالي تظهر الكراهية بين البشر ، فيكون الإنسان منافساً لأخيه الإنسان ، فكل فرد في صراع مع الآخرين ؛ من أجل نفسه .

ثانياً: ظروف العصر التي عاشها ميكافيللي وهوبز وانعكاساتها علي فلسفتهم حول أخلاق القوة.

• ذكرت فيه أن للبيئة التي يعيش فيها الفيلسوف دور رئيس في بناءه الفكري. الأمر الذي يتأكد تماماً علي ميكافيللي وهوبز، فقد اتسم عصرهما بتحويلات كبرى في بنية المجتمع الأوروبي حيث تعرضت إيطاليا موطن ميكافيللي، وإنجلترا موطن هوبز إلي حالة من: الانقسام، والحروب الأهلية، والصراع ، والفوضى، فانعكست ظروف العصر علي آرائهما، فأخذوا يدعوان إلي وحدة وطنية تعتمد علي القوة السافرة، والوسائل اللاأخلاقية أيا كانت المهم تحقيق هذه الوحدة . ثم تناولت حالة الطبيعة البشرية حيث اتفقا علي أنها حالة أنانية وصراع، فكانت أخلاق القوة عند

ميكافيللي أخلاق ثعلبية ، وعند هوبز أخلاق ذنبية. ومن المسميات تتضح النوايا ، ولأن المسيحية تنادي بالمحبة والرجاء والتسامح عارضها كل منهما معارضة شديدة ، فكانت مبادئ المسيحية - من وجهة نظرهما - حيلة العاجز الضعيف . فلا تعبر إلا عن الذل والخضوع .

ثالثاً : أثر أخلاق القوة عند ميكافيللي وهوبز فكراً وممارسة .

•تناولت فيه مدي أثر أخلاق القوة الذي تركه ميكافيللي وهوبز علي مستوي الفكر ، خاصة علي الفلاسفة اللاحقين ، واخترت نيتشه أنموذجاً ليظهر مدي التأثير في فكره ، والذي دعي إلي إرادة القوة . والإطاحة بقيم الفضيلة والرحمة والإحسان ، وسمح للأقوياء أن يقضوا على الضعفاء ، بحجة أنّ القوي هو من يملك الحق في خلق القيم ، ثم تناولت - أيضاً - مدي الأثر الذي تركه ميكافيللي وهوبز علي مستوي الممارسة واخترت الفاشية أنموذجاً . والتي نادى بمبدأ القوة ، وأنّ المنتصر أفضل من المهزوم ليظهر انعكاس فكريهما المتعصب والعنيف علي الواقع والذي كان سبباً لإراقة الدماء ، والظلم ، والقهر ، والعنصرية .

رابعاً : رؤية تقييمية لأخلاق القوة الغربية من منظور إسلامي عن عالمنا المعاصر .

•أجبت فيه عن السؤال التالي : لماذا الحديث عن الرؤية التقييمية لأخلاق القوة الغربية من منظور إسلامي عن عالمنا المعاصر ؟ كانت الإجابة لأننا في موضع المُتلقّي - دائماً - كانت صدي هذه الأفكار علي أمتنا ، بين التصدي لهذه الأفكار المفخخة ، وبين الاحتفاظ بالدفاع عن الموروث ، باعتباره المخزون الذي يحمل مكنونه الهوية ، والعقيدة ، والفكر ، والتي يجب حمايتها والصد عنها في مواجهة موجات المد الآتي من الفكر الغربي . وأخيراً عرضت نتائج الدراسة ، ثم المصادر والمراجع العربية والأجنبية .

- منهج الدراسة .

إذا كانت مناهج البحث تتنوع وفقاً للموضوع المراد دراسته ، فإن المنهج الذي استخدمته في هذه الورقة البحثية هو : المنهج التحليلي، النقدي، المقارن، وقيمت باستخدام المنهج التحليلي في تحليل آراء ميكافيللي وهوبز التي ترسخ لاستخدام أخلاق القوة، وبالنسبة للمنهج المقارن فقد قارنت من خلاله بين آرائهما حول رؤيتهما لحالة الطبيعة البشرية، بالإضافة إلي رفضهما للمسيحية

ومبادئها الأخلاقية، ومدى امتدادات وتأثيرات فلسفة ميكافيللي وهوبز علي واقع المجتمع الغربي، وأما بالنسبة للمنهج النقدي فقد استخدمته في نقد آرائهما كلما دعت الضرورة لذلك..

وبعد .. هذه دراسة عن أخلاق القوة الغربية وانعكاساتها علي الفكر الإسلامي دراسة نقدية. لا أزعم أنني قد سبقت بها الأوائل ، ولا أدعي أنني توصلت إلي ما لم يتوصل له الأواخر . ولكنها محاولة، قد تكون خطأ ، وقد تكون صواباً ، وقد تكون مزيجاً من كليهما ، ولكنني أشهد الله أنني ما حملت حين كتبت - إن كنت قد حملت - تعنتاً وبغضاً ، ولا دافعت - إن كنت قد دافعت- تعصباً وحباً ، ولكن الحق أردت، والصواب - قدر طاقتي - توخيت ، ونعوذ بالله العلي العظيم من فتنة القول ، ومن حرمان التوفيق . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

### أولاً : مفهوم أخلاق القوة ومنابعها الفلسفية عند ميكافيللي وهوبز :

إن الفكر الإنساني سلسلة متصلة الحلقات ، يؤثر فيه السابق علي اللاحق " فكلما رجعت إلي أصل، رأيت أنك تحتاج في فهمه للرجوع إلي الأصل الذي سبقه، ويتسلسل بك الأمر؛ حتى تبلغ الأصل الذي نَبَعَتْ منه الفلسفة. " (1) " إن حاضر أي فكرة ، ما هو إلا امتداداً لماضيها، ومن ثم فإن ما يحدث في الحاضر، لأبد وأن تكون له جذوره ورواسبه الممتدة منذ زمن مضي، وعهد انقضي ويجب الرجوع إليه، فالعودة إلي الماضي تعبير عن أصالة يتمتع بها ذلك الماضي، ولا يمكن لنا أن نغض الطرف عنه، خاصة إذا ما أردنا للفكرة : تطويراً ، أو استقامة ، أو اكتمال. ولا شك أن الفلسفة اليونانية هي المرجعية الفكرية بامتياز للفلسفة الحديثة ، فالفلاسفة مهما اتسعت أبحاثهم وتميزت يرجعون إليها، كونها أجابت عن أسئلة كبرى كان لها تأثيراً كبيراً في الفلسفة الحديثة، وتحديداً فيما يتعلق بأخلاق القوة ، الأمر الذي جعل نيتشه يصل إلي درجة الإعجاب بالفلسفة الإغريقية فيقول : " إن لحظة تفلسف الفلسفة الإغريقية ما قبل سقراط ، هي أهم اللحظات الذهبية في تاريخ الفلسفة القديمة تلك التي تميز فيها القول الفلسفي بالكثير من الحرية النظرية، والنقد السائد. " (2) لذا آثرت أن أتناول المنابع الفكرية والمنطلقات الفلسفية لأخلاق القوة عند: ميكافيللي ، وهوبز . وذلك تحقيقاً لفائدتين :

أ - لفهم حقيقة فلسفة القوة منذ بداية النشأة اليونانية ، تمهيداً لفهم أعمق لأخلاق القوة عند ميكافيللي وهوبز ، والوقوف علي أبعادها .

ب -التناول التاريخي لأخلاق القوة يساعد علي فهم القضايا والآراء ، واستيعاب الاتجاهات والمذاهب الأخلاقية الحالية ، كما يكشف عن تطور الفكرة ونضجها . لذا نتناول في هذا المبحث المنابع الفكرية السوفسطائية وأثرها في أخلاق القوة الميكافيللية ، وكذلك الأصول الأبيقورية وأثرها في أخلاق القوة الهوبزية وذلك فيما يلي :

### 1 - المنابع الفكرية السوفسطائية وأثرها في أخلاق القوة الميكافيللية ( 1469 - 1528).

لم يحاول أغلب المفكرون اليونانيون تقديم براهين قاطعة في نظرياتهم عن الأخلاق ، لكن كانت المشكلة الخلقية هي المشكلة الأساسية التي كانت تُلحُّ علي أذهانهم ، لقد كانوا متأكدين أن الأخلاق من العلوم الواضحة البينية، التي لا تحتاج إلي قناع ، وتُدرَك بالعقل لا العاطفة، فاستخلصوا دورها الذي تلعبه في الطبيعة، وأصبحت فلسفة ، وقوة من قوي النفس.(3)

ويعتبر بروتاجوراس زعيم السوفسطائيين أول من تحدث عن الأخلاق ، وأكد علي قيمة الإنسان وقدرته المطلقة من خلال مبدئه الشهير (أن الإنسان مقياس الأشياء جميعاً).(4) الأشياء الموجودة أو غير الموجودة، وهي قاعدة خطيرة ؛ لأنها تعبر عن فردية متطرفة ، لاسيما إذا ما طبقت في مجال الأخلاق. كما أكدوا علي أن القوانين الأخلاقية مبتكرات بشرية مقيدة بمجموعة من العادات والأعراف، التي تجعل الحياة الاجتماعية ممكنة ، وبالتالي القول بالنسبية وإنكار أية قوانين كلية في الأخلاق ، أو أية حقائق أخلاقية مطلقة، حتي أنهم اعتبروا فلاسفة التنوير عند اليونان، فلقد أنكروا وجود حقائق موضوعية مستقلة عن الفرد وظروفه، وهكذا تتعدد الحقائق بتعدد مدركيها والحالات التي تطرأ عليهم ، وتبعاً لتعدد الناس ومصالحهم.(5) كما رهنوا الخيرية باللذة التي تتجم عنها .

لقد لخصت محاوره بروتاجوراس، والتي نقلها لنا أفلاطون نظرتة للطبيعة البشرية حيث أكد أن الإنسان هو الذي يُبدع القيم الاجتماعية والأخلاقية ويسعي إلي امتلاكها ؛ لأنه عَلِمَ أن الحياة بدون قيم مستحيلة فأرسل الإله زيوس العدالة التي تبشر من أجل استمرار الحياة البشرية ، فأمر بنفي كل من لا يمتلك هذه القيم. فبالممارسة نمتلك الفضيلة والعدالة.(6) وكان الجميع شركاء

في هذه القيم ولديهم القدرة علي تلبية حاجاتهم ، والطبيعة البشرية ليست فطرية بل تتشكل بالعمل الجاد والمثابرة ، وذلك لا يعتمد علي شرف المولد مثل ما قال أفلاطون في محاوره الجمهورية بأن كل إنسان له معدنه الخاص منذ ولادته،(7) والتي كانت البداية لنشوء الطبقات الاجتماعية التي أنشأت الفوارق بين البشر وأدت إلي الظلم والاستبداد.

كما عظم السوفسطائيون الصلابة الإنسانية وقدرة الإنسان على مقاومة كل أشكال الإغواء وقيامه بالاختيار السليم للفضيلة دائماً لذا أنكر بروتاجوراس وجود الصدق الموضوعي الخارجي. فالحقيقة ، والعدل، والخير كلها تقوم على إرادة الإنسان الحرة والواعية ، فكانوا أول من اعترفوا بحق الفاعل ، وعبر السوفسطائيين عن ذلك بالقاعدة التي وردت عند والتر ستيس فقال : " لا يُفرض الخير بقوانين وقواعد ؛ لأنني كائن عاقل لي الحق الكامل في استخدام عقلي والحكم على الأمور بنفسى.(8)

كما تعرض السوفسطائيين إلى فلسفة القوة وبخاصة ( كليليس ) صاحب نظريه الحق للأقوى وقوام هذه النظرية أن الطبيعة تريد أن يتغلب القوى على الضعيف ويسيطر عليه وأن الإنسان الذي لديه هذه القوة يجب أن لا يخضع لعدالة البشر ، ولا بد أن يعيش كما يحب ويهوى. " وبذلك يُعد أول من رأى أن القوة هي الحق. "(9) أما ( تراسيماخوس ) فيري بأن الأخلاق والقوانين من صنع الضعفاء وأنهم وضعوها لكي يكبحوا جماح الأقوياء لكن مجريات الطبيعة تتهاض هذا الاتجاه ، الذي يحاول الضعفاء صنعه ، وهنا يسود القانون الطبيعي بين البشر وتحقق نظريه الحق للأقوى.(10) ويؤكد على أن العدالة ليست إلا لصالح القوي، فلا وجود للحق الطبيعي ، فالحق هو كل ما تنفذه أقوى سلطة في الدولة وفق ما ترى أن فيه مصلحتها الخاصة. وهو المبدأ الذي سيؤثر كثيراً علي ميكافيللي كما سنري - بإذن الله تعالى - في المبحث الثاني من هذه الدراسة .

كما رأى السوفسطائيين أن حياة السيطرة على الآخر هي الحياة الصحيحة التي تتفق مع الطبيعة إلى الحد الذي تسمح به قدرة الإنسان، وإنه لمن الخطأ أن يعيش الإنسان عبداً لغيره طبقاً لقوانين ليس لها سند طبيعي، كما أن للناس جميعاً حق التمتع بما يستطيعون الاستيلاء عليه بالقوة . (11) فيتغلب القوي على الضعيف، ويسيطر عليه فالإنسان الذي يتمتع بقوة طبيعيه وذكاء

خارق لابد أن يزدري عدالة البشر التي تواضع عليها الناس، ولا بد أن يجهر بما يرى وأن يعيش كما يحب ويهوى ، مرتكزا على قوته وجبروته ورهبه الناس وخشيتهم وهو يفسح المجال أمام أهوائه وشهواته مطلقا لهم العنان فتندفع متزاحمة في البحث عن إشباعها " فالطبيعة هي الخير، ولذلك يجب أن نصغي إلى صوتها، ضاربين عرض الحائط بكل القوانين، التي سنها الضعفاء وبكل قيمهم حول العدالة والصلاح. " (12)

هكذا ارسى السوفسطائيون فكره التمييز العنصري ونظره التعالي التي دفعت إلى تحقير ما دون الإنسان من أجناس وتبرير الاستعمار واستغلال القوي للضعيف إنهم مثلهم مثل النفعية حملوا معهم بذور إخضاع الأخلاق إلى وسيله النفعية، ولهذا كانت اختياريه وليست ملزمه ، واكتفوا بالنصح والالتزام بالتوسط بين الإفراط والتفريط . (13) ولا شك أن ذلك كان له تأثيره الشديد على ميكافيللي ، فقد أخذ من السوفسطائيون قولهم بأن الأخلاق والقوانين من صنع الضعفاء، ودعا إلى تكريس مبدأ القوة داعياً حتى المستعمر، إلى التخريب ؛ لأنه الوسيلة الوحيدة للإبقاء على المستعمرات ، وداعيا الحاكم إلى إخفاء صفاته المرزولة ، وأن يكون بارعاً في الرياء ، وإظهار الصفات الحميدة ، واستخدام القوة .

## 2 - الأخلاق الأبيقورية وأثرها في أخلاق القوة الهوبزية ( 1588 - 1679 ) .

تأثر هوبز بالأخلاق الأبيقورية القائمة علي مبدأ اللذة خاصة فيما يتعلق بحالة الطبيعة وإرجاع جميع البواعث الإنسانية إلى المصلحة الذاتية ، الأمر الذي يدفعنا إلي تناول الأخلاق الأبيقورية وذلك فيما يلي :

كانت الفضيلة عند ابيقور تتلخص في إصابة اللذة ، فاللذة خير في ذاتها فإذا استطاع الإنسان أن يحصل على اللذة ، ويتجنب أكبر قدر من الآلام ، فقد أصاب الفضيلة ، غير أنه يقيم نظاماً لتحديد هذه الفضيلة ، وهو كونها ضرورية ويمكن إشباعها ، ويضيف أنه لكي نحقق السعادة علينا أن نمتلك صفات أساسية ، فنحن لا يمكننا العيش في سعادة دون العيش في حكمه، ونزاهة ، وعدل . ولا يمكننا إذا حققنا هذه الأخيرة أن نعيش دون سعادة ؛ لأنه لا يمكن لمن كان فاقداً لإحدى هذه الأشياء أن يعيش سعيداً . (14)

إن اللذة عند ابيقور يجب أن تحصل من حيث نتائجها وبوصفها حلقة في سلسلة متصلة حلقاتها بعضها ببعض ، وبالتالي خاضعة للتقويم والترتيب التصاعدي ، وهنا ينتهي الأبيقوريون إلى القول بتصاعد بين اللذات فهناك حسية صرفة ، وأخرى لذات باطنية ، الأولى لذات ايجابية تتصف بأنها على حال من اللذة الايجابية ، والأخرى لذات سلبية ليس لها معنى آخر ، إلا أنها خلو من كل انفعال وتأثر . (15) وبالتالي ترجع السعادة إلى اللذة فهي خيرنا الأعظم ومن ثم فيجب استبعاد اللذات الحسية الموقوتة التي قد تنقض دون أن تحقق سعادتنا كذلك ينبغي تجنب المبالغة في طلب اللذة حتى لا تنقلب إلى ألم بما تحدثه من اجتهاد واعتلال للصحة . (16) وعلينا أن نهرب من تلك التي تؤدي في النهاية إلى إحداث ألم أكبر منها . (17) كما يرى أن وظيفة علم الأخلاق هي القضاء على المخاوف الخيالية التي تعترض طريق تحقيق سعادتنا . (18)

ولا شك أن ذلك كان له تأثيره الشديد على هوبز فاستقي من الأبيقورية مبدأ اللذة وأضاف إليها سيكولوجية الأنانية وقرر أن السلم غاية أساسية للإنسان غير أنه يختلف في مفهوم السلم الذي يراه ابيقور في الزهد والتقليل من الحاجات والاشتغال بالفلسفة، والاستقلال عن كل سيطرة بينما يراه هوبز في امتلاك القوة المادية التي تضمن استمرار التوازن بين مختلف فئات المجتمع، ومعنى ذلك وجوب استحداث قوة جديدة يخضع لها الجميع ، والملاحظة هنا أن هوبز يتحدث عن المواطن بينما كان ابيقور يتحدث عن الحكيم .

**ثانياً : ظروف عصر ميكافيللي وهوبز وانعكاساتها علي فلسفتهم حول أخلاق القوة والدين**

### **1- ظروف عصر ميكافيللي وانعكاساتها علي فلسفته حول أخلاق القوة .**

يمكن النظر إلى آراء أي فيلسوف من ناحيتين أولاً : من ناحية ارتباطها بالفيلسوف ، نفسه وحين إذن نتتبع نمو أفكاره وتأثرها بالبيئة التي عاش فيها ، والمؤثرات التي تأثر بها ، كما نهتم بجميع المسائل التي شغلته بغض النظر عن درجة أهميتها الحقيقية ، معتبرين أنها تستحق الإهتمام لمجرد أنها شغلت جزءاً من تفكيره وتأملاته في وقت من الأوقات ، ومن هذه الناحية يقال عادة أن حياة الفلاسفة ليست شيئاً آخر إلا حياه أفكارهم . (19) فالبيئة التي عاش فيها الفيلسوف لها دور رئيس في بناءه الفكري ، والفلسفة كنشاط فكري - وكغيرها من أبواب مخرجات فكر الإنسان

- بل من أبرزها يظهر عليها جلياً أثر البيئة في تشكيله للبناء الفكري . الأمر الذي يدفعنا إلى تتبع تاريخ ميكافيللي للوقوف علي ظروف عصره ، وبيئته التي نشأ فيها ، حيث تعتبر أفكاره وليدة بيئته ، وقد وُلدت من رحم الظروف القاسية التي عاشها .  
لم تكن هناك حياة أكثر تقلباً ، وفساداً أخلاقياً من الفترة التي عاشها ميكافيللي . وما تعرضت له ايطاليا من تمزق ، وحروب أهليه ، وصراعات . الأمر الذي مزق قلبه لحالة التفكك والتشتت التي سادت بلاده ، فراح يدعو إلى الوحدة الوطنية متخذاً القوة السافرة ، والوسائل اللأخلاقية - أياً كانت - أدوات لتحقيق هذه الوحدة ، وقد ظهرت صدى هذه الحياة بوضوح في فلسفته خصوصاً في مذهبه الأخلاقي . (20) مؤكداً على أن مسائل الدولة ومشاكلها لا يمكن أن تخضع لقيم جوفاء ، أو تدور في محراب اللاهوت اللاواعي . فبدأ يبرر جميع أنواع التجاوزات التي يمكن أن يباشرها الحاكم من العنف والإبادة ومن الخداع إلى الرشوة . حتى أنه وضع صاحب السلطان فوق الأخلاق ، إذ الغاية عنده تبرر الوسيلة والقوة تكون عادلة ما دامت ضرورية .

يقول عبد الإله بليز : " يُعتبر ميكافيللي القوة هي إحدى أهم الغايات التي يمكن تحقيقها دون النظر لشرعية الوسيلة وشكلها أو أخلاقياتها التي من خلالها تنفذ القوة ، وفي سبيل تحقيق هذه القوة ، لا يعطى أي اعتبارات إلى مدى شرعيه تلك الوسائل وأخلاقياتها . " (21) حتى نادي بأن دولة الأخلاق تنهار ودولة القوة تستمر ، إن الدولة - من وجهة نظر ميكافيللي - التي تتبع قواعد الأخلاق لا تلبث أن تنهار .

لقد مثلت آراء ميكافيللي حول أخلاق القوة حينها صدمة للوسط الفكري ، ولفترات طويلة متعاقبة ، خاصة حين فصل بين السياسة والأخلاق مما شكل تصوراً مسبقاً عن توجهاته والذي كما ذكرت راح يُوصم بالسلبية ، وسوء الطوية، والذي يُعد رغم ذلك من أهم الفلاسفة الذين استطاعوا أن يدركوا تمام الإدراك خط سير التطور السياسي في جميع أنحاء أوروبا خلال النصف الأخير من القرن الخامس عشر ، والثالث الأول من القرن السادس عشر ، لقد أدرك أن النظم التي كانت سائدة في أوروبا كانت عقيمة إما لضعف النظام نفسه، وإما لعدم الاستئثار بالسلطة بواسطة الحكام لضعف شخصيتهم ، وإما لتدخل بعض الاتجاهات الأخلاقية والدينية في مسار

سياسة الدول ، ولذلك اعتقد بأن ايطاليا لن تتوحد إلا على يد حكومة تتميز بالقوة ، والجبروت ، والدهاء .

كان يرى ميكافيللي أن الهدف الأول للعملية السياسية هو المحافظة على قوة الدولة والاستزادة منها بأي وسيلة ، حتى وإن كانت غير أخلاقية . (22) مؤكداً على أن الناس شريريون كما دلت على ذلك التجارب التاريخية ، وأن من الحمق أن يعاملهم الأمير بإخلاص ، ولن يفشل الأمير في تغطية موقفه ودهائه ؛ لأنه سيجد دائماً سذجاً ممن يندعون بسلوكه ، وكل ما هو مطلوب هو أن يكون للإنسان من اللباقة ما يجعله يخدع الآخرين ويغشهم دون أن يشعروا . (23)

## 2- ظروف عصر هوبز وانعكاساتها علي فلسفته حول أخلاق القوة .

إن المدقق عن كثب يرى أن الظروف التي عاشها ميكافيللي ، وما فيها من تمزق وحروب قريبه جداً ، لما عاشه هوبز - أيضاً - فالظروف التي عاشتها إنجلترا بين أواخر القرن السادس عشر ومنتصف القرن السابع عشر ، كانت حافلة بالعنف والاضطرابات ، وكان لها تأثير على أفكاره ، والمفاهيم التي تكونت لديه فنشأ في فترة حروب أهليه بإنجلترا ، حيث كانت هناك قضايا مطروحة في عصره كقضية الحرية الدينية أي السيطرة التي كانت بيد الكنيسة والتسلط الذي كانت تمارسه باسم الدين ، واحتكارها الحقيقة المطلقة ( بيع صكوك الغفران ) . كان لابد لهذه الحرب التي جعلت الفوضى تعم البلاد أن تكون موضع تحليل وتشريح من الفلاسفة . (24) فكان هوبز من أوائل الذين صاروا على المنهج اللاهوتي الذي قام عليه مجتمع العصور الوسطى ليقيم فكراً علمياً منطقياً . (25) وصل إلي حد توقعه للحرب . (26) ومن هنا يتضح للباحث مدى التشابه في الظروف التاريخية لميكافيللي وهوبز ، ليؤكد على أن البيئة كان لها العامل الأكبر في تكوين أفكارهم ومعتقداتهم ، ولكن بمنهج مختلف حيث دعيا إلى الخروج من الصراعات والفوضى ، والتقلبات السياسية ، إلى الدعوة لأخلاق القوة كلٌّ بطريقته .

## 3- حالة الطبيعة البشرية عند ميكافيللي وهوبز .

### أ - حالة الطبيعة البشرية عند ميكافيللي :

إن المبدأ الأساسي الذي بنى عليه ميكافيللي أفكاره وسلّم به في كتاباته أن طبيعة الإنسان تتميز بالأنانية وحب الذات ونكران الجميل . (27) فالكمال أمرٌ عسير بلوغه ، كونه يتقاطع والطبيعة

الإنسانية . (28) فيقول : " الناس بصورة عامة ناكرون للجميل ، متقلبون مرءون ميالون إلى تجنب الخطر وشديدو الطمع وهم إلى جانبك طالما أنك تفيدهم ، فيبدلون لك دمائهم ، وحياتهم ، وأطفالهم وكل ما يملكونه طالما أن الحاجة بعيدة نائية ولكنها عندما تدنو يثورون . " (29) فلا مناص من استخدام الدولة للضغط والعنف بشتى أنواعه وصوره ، حتى يتم السيطرة على نزعة الإنسان الشريرة ، التي لا تعرف ضوابط أمام تحقيق رغباتها . (30) ويرى ميكافيللي أنه يجب على الأمير أن يحصل على القوة وليس الخير ، ويمارسها أينما حددت ذلك الضرورة ، ولكن من جانب آخر يجب أن يكون حذراً من أن لا يكتسب سمعة الرجل الشرير ؛ لأن ذلك سيؤدي إلى خطف منصبه منه ، بدلاً من تأمينه ، وبذلك فالمشكلة هي تجنب الزهور بالشكل الشرير . الأمر الذي أكده بشكل صريح في مؤلفه المميز الأمير فيقول : " وعليه أن يعلم أن الأعمال الصالحة قد تجلب الكراهية كالأعمال الشريرة ولذلك إذا أراد الأمير أن يحافظ على سلطانه فعليه أن يرتكب بعض الشرور والآثام . (31) ومن هنا فأخلاق القوة عنده هي أخلاق القوة التي تتماشى مع مصالح الأمير والدولة من حيث البطش والعنف لذا فالحاكم العاقل قد يقتل عند ميكافيللي يقول مهدي محفوظ : " فالحاكم العاقل قد يقتل ولكنه لا يذهب . " (32)

ومن هنا دعا ميكافيللي الحكومات إلى سياسة الثعلبية والى السير على نهج السياسة الثعلبية في وضع المعاهدات وتطبيقها في معاملاتها ويرى أن من حماقة أن يحافظ الناس على العهود وهي تضر بمصالحهم الأمر الذي ذكره ميكافيللي في كتابه الأمير تحت عنوان كيف يتوجب على الأمير أن يحافظ على عهوده ؟ وينصح الأمير بالاعتماد على قوته في الداخل والخارج فهي التي ستدعم له حكمه وسلطانه . بل غالى ميكافيللي حين وضع صاحب السلطان فوق الأخلاق وفوق كل مثل فيخول إليه التوسل بكل ما يؤيد سلطانه سواء عن طريق : القوة ، أو الحيلة ، أو الخداع . إذ الغاية عنده تبرر الوسيلة والقوة تكون عادلة ما دامت ضرورية . (33) لذا دعا المستعمر إلى التخريب ، فهو الوسيلة الوحيدة للإبقاء على المستعمرات تحت السيطرة ، فمن يصبح حكم لمدينه حرة ولا يدمرها فليتوقع أن تقضي عليه . (24) بل وينصح المستعمر أن

تكون جرائمهم وإباداتهم بتخطيط وتدبير يمكنهم من جني الفوائد مدة طويلة وإسكات الشعوب إلى أمد بعيد . (35)

يقول كافين رايلي: " أنه يجب على الحاكم أن يكون ماكراً مكر الذئب ، ضارياً طراوة الأسد، غادراً غدر الثعلب ، وأن يتعلم كيف يبتعد عن الطيبة والخير، وأن يُحسن استخدام مبدأ فرق تُسد؛ من أجل المحافظة على سلطانه ، ولكن عليه في الوقت نفسه أن يكون ماهراً في إخفاء صفاته المرزولة، بارعا في الرياء وإظهار الصفات الحميدة ، بل وحتى التدين الشديد." (36)

نستنتج من ذلك أن رؤية ميكافيللي عن حالة الطبيعة الخالية تماماً من قيم : التسامح ، والإخاء، والرحمة . جاءت في سياق حديثه السياسي فلم تكن لديه القدرة والجرأة في اقحام نفسه في انتقادات كثيرة ، إذا أعرب عن رأيه الراض للقيم الأخلاقية رفضاً مباشراً فجاء في سياق حديثه عن السياسة . فماذا لو ميكافيللي أعلن رفضه الإيمان مثلاً لكان ذلك داعياً إلي اتهامات لا تحصي ولا تعد خاصة من رجال الكنيسة ، فما كان منه إلا أن تخفي خلف ستار السياسة ليقول أن الخضوع للحاكم هو الإيمان . وبالتالي من لا إيمان لمن يخالف الحاكم . إنه تطبيقاً لمبدئه الذي أرساه بأن الغاية تبرر الوسيلة .

#### ب - حالة الطبيعة البشرية عند هوبز :

حين نقرأ حالة الطبيعة عند توماس هوبز نري تقارباً إلي حد كبير مع ميكافيللي لنتساءل : هل ذلك من قبيل المصادفة ؟ وإلي ما يجب أن نعزو تلك المصادفات ؟ ألي مصدر مشترك ؟ أم إلى الوحدة المشتركة للفكر البشري ؟ أم إلى التأثير ؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات علينا أن نتناول حالة الطبيعة عند توماس هوبز في حضور ميكافيللي سابق الذكر وذلك فيما يلي :

وضع هوبز أساساً لنظرية أخلاقية تقوم على الأنانية الفردية ، التي ترتبط بالفكرة التي سادت آنذاك وهي أن الطبيعة البشرية تقوم على تقبل اللذة ، ورفض الألم ولذلك سعى الإنسان جاهداً بضرورة الحصول على اللذة، وتجنب الألم ، ومثل ما تنطبق هذه الفكرة على الفرد ، فإنها تنطبق على المجتمع والنظم والعلاقات الاجتماعية .

وكانت حالة الفطرة الأولى عند هوبز حالة حرب وفوضى وقوة إنها تفقر لوجود سلطه تنظم سلوكهم ولا مكان للعدالة ، ما دامت قاعدة الحياة فيها لا يملك المرء إلا ما يستطيع الحصول

عليه ، ما دام يستطيع الاحتفاظ به فليس ثمة مفهوم للعدالة أو الظلم. (37) فلم تكن ثمة قيم أو مثل لقد كان كل إنسان يعطي لنفسه الحق كل الحق في الحصول على ما ينبغي ، لم يكن ثمة تشريع ولا قانون ولم يكن أمام الإنسان إلا أن يحارب باستمرار أو يمكث خائفاً من هجوم الآخرين عليه .

أكد هوبز علي أن البداية الحقيقية للقوة عند الإنسان خالية من الأخلاق مؤكداً علي مبدأ: إن لم تكن ذنباً أكلتك الذئب ، فالأخلاق يجب أن تقوم على المادة والمنفعة وأخلاق السوق.(38) وهنا نجد أن هوبز يواصل مسيرة ميكافيللي بأن وضع الأخلاق في مكانها الطبيعي المتمثل في الضمير الذي هو من شأن السلوك الفردي ، يعني ذلك أننا لا نستطيع أن نجبر أحداً بأن يكون صادقاً أو مخلصاً ، أو أميناً ؛ لأنها مسألة شخصية وتعود إلى تربية الضمير . كما نلاحظ اتفاق هوبز مع ميكافيللي في أنّ القوة هي المصدر الموثوق ، الذي يمكن الاعتماد عليها في ممارسة السلطة، فهو يرى أن الموثيق التي لا تحرسها القوة لا يمكن الركون إليها. وهذا ما وجدناه عند ميكافيللي فقد كان يغفر للأمير الذي يلجأ إلى أعمال وحشية عندما تكرهه ضرورة الخير العام ، أو حفظ سلطته على ذلك .

وانطلاقاً من ذلك كان هوبز يقنفي خطى ميكافيللي وتجربته المتحررة من الأوهام . لقد كانت البشرية في الحالة الصافية أو الطبيعية عبارة عن غابة ، أما في الحالة الاجتماعية فإنه لا يتحمل أن تتحول ، فيما تتعلق بالعلاقات بين الأفراد ، إلى غابة ، اعتباراً من اللحظة التي سمح فيها القبول بقيام سلطة مطلقة . بدليل أن حالة الطبيعة عند هوبز اتسمت بالآتي :

- 1 - المنافسة الدائمة بين كل إنسان وكل إنسان آخر ، في سبيل تحقيق الرغبات . والخوف الدائم ، والإحساس المستمر بالخطر والريبة والشك ، مما يفوق قدرات الإنسان قوةً أو ذكاء .
- 2 - إنها كانت حرب الجميع ضد الجميع ، يسودها العداء ، فكل إنسان عدو لكل إنسان آخر ، لا يبغى إلا مصلحته الخاصة ومنفعته الشخصية. إنها كانت حياة منعزلة، وفقيرة، وقذرة، ووحشية، وقصيرة ، فأصبح الإنسان ذنباً لأخيه الإنسان .
- 3 - انعدام مقومات الحياة الأساسية ذاتها وذلك؛ لأن الإنسان ليس وحيد في هذه الحياة وإنما كل فرد يصادف منافس له ويعتبر بمثابة عدو له . (39)

4-انعدام الأمن والاستقرار وفي هذه الحالة يعيش الإنسان في حالة من الذعر، والقلق، والخوف الدائم حتى وهو نائم ، وعليه أن يوصد الأبواب ؛ لأنه لا يأمن علي شي .

5- طغيان حالة الصراع والحرب الدائمة وذلك لطغيان المصلحة والأنانية ، التي تجعل الإنسان يعيش حياة جحيم قانونه الحرب المستمرة وهذا ما ينتج العداء وعدم التعاون بين الأفراد . (40) إذن انطلاقاً من الحالة الطبيعية البشرية الحاقدة الكاذبة عند هوبز رأي أن هناك ثلاثة أسباب رئيسة للحرب والنزاع، أولها: المساواة في القدرة، والثاني: التنافس، والثالث : المجد . أما السبب الأول فيجعل الناس يتقاتلون في سبيل الحصول على الكسب، والثاني لضمان الأمن والسلام، أما الثالث فلأجل الصيت والشهرة. (41) وفي مثل هذه الحالة لا يكون هناك غير قانون القوة والحيلة . (42) ونتناولها علي النحو التالي :

### 1 - المساواة في القدرة .

" إن المساواة بين البشر كانت من الأسباب الرئيسة للصراع بينهم ، وزيادة حدته؛ لأن الناس متساوون في قدراتهم، ومن لديه نقص في جانب ، يُعوّض بقوة في جانب آخر، إذن فالكل متساوون في القوة، ومن ثمّ فالكل قادر على ممارسة حقه الطبيعي غير المحدود، فتظل الحرب مستمرة بين الكل ضد الكل . إن الحقوق الطبيعية المتساوية بين أفراد الإنسان ، لا بد وأن تنتهي بحالة الحرب .

ومن المساواة في القدرة تنبثق المساواة في الأمل، فما دام الكل متساوون في القدرة ، فالكل سوف يحدوهم الأمل في الوصول إلى ما يطمحون إليه . فلو كان الناس متساوون في قدراتهم البدنية والذهنية، فهذا يعني ألا أحد أقوى من الآخر في الجانبين معاً ، بحيث لا يستطيع إخضاع الآخرين له، وبهذه المساواة ذاتها تنشأ مساواة أخرى ، وهي المساواة في الأمل، وفي بلوغ الأهداف التي يرغبون في تحقيقها ، وهذا يعني أنه ستكون لكل منهم مبررات متساوية مع الأخرى، في أن يأمل في الحصول على الشيء الذي يرغب فيه ، وهكذا يشتد الصراع ويُقوى .

(43)

### 2 - التنافس :

إن التنافس عنصراً أصيلاً لانتشار روح اللاوسطية واللاتسامح ، فالمنافسة تجعل البشر يقومون بالغزو ؛ لتحقيق المكاسب ، ويستخدمون العنف ؛ ليجعلوا أنفسهم سادة على الآخرين ، في حين أن المنافسة تدفع الإنسان إلى الحرب ؛ للحفاظ على منافعه الخاصة ، وتكون الحرب هي وسيلة القضاء على الطرف المنافس ، وإشعال الحروب والصراع . (44) من هنا كانت نقطة البدء في فلسفة هوبز هي تحليله للطبيعة البشرية في ضوء سيكولوجية تفترض أن المصلحة الذاتية ، هي المحرك الأساسي للسلوك الإنساني . وفي حالة الفطرة كانت دوافع الإنسان تتمثل في مصالحه الأنانية ، دون أن يضع في اعتباره العقل ، أو مصالح الآخرين ، وهذا بدوره هو ما يفسر الصراعات التي شهدتها هذه الحقبة من تاريخ البشرية ، طالما أنه لا وجود للقانون أو العدالة .

(45)

بناء على ذلك ، فإن حياة الإنسان تنطلق من منطلق أساسي هو التنافس ، الذي يدفع الإنسان إلى تحصيل أكبر قدر من اللذة والسعادة ؛ للحفاظ على حياته . فغريزة الحفاظ على الحياة ، هي التي تجعل الإنسان يكافح ؛ من أجل تحقيقها حتى الموت ، متبعاً في ذلك كل وسيلة يمكن أن تؤدي إلى هذا الهدف ، سواء أكانت هذه الوسيلة خُلُقياً أم غير خُلُقياً . يقول جان توشار عن ذلك : " الحياة فقيرة بهيمية قصيرة وليس ثمة مفهوم : للعدل ، أو الظلم ، ولا ملكية ، ولا صناعة ، ولا مُجتمع . " (46)

### 3 - المجد

إن التطلع إلى المجد يمكن أن يُعدَّ مصدراً رئيساً ، من مصادر الصراع بين البشر في حالة الطبيعة ، فكل فرد في هذه الحالة ينتظر من الآخر أن يعطيه قيمة معينة ، أو يقدره حق قدره ، وهذا القدر هو الدرجة التي يعطيها لنفسه ، فعلى نحو ما يقدر نفسه ، يريد من الآخرين أن يقدره ، ولما كانت هناك دلائل كثيرة تشير إلى احتقاره أو الحط من قدره ، فإنه من الطبيعي أن يحاول أن ينتزع من محتقريه قيمةً أعظم ، عن طريق إلحاق الأذى بهم ، إلا أنه ينبغي أن نذكر بأن الرغبة في إظهار المفاخر والمجد ، وإظهار العلو على الآخرين ، وكسب احترامهم ، كانت في حالة الطبيعة - وما زالت - مصدراً من مصادر الصراع بين بني البشر .

من هنا فلا سبيل أمامه يمكن أن يسلكه فإما : أن يتغلب على محتقريه بالقوة، أو يعاني المزيد من الانتهاك لوجوده وأمنه . ولما كان الناس يريدون انتزاع الاحترام من الآخرين ، فإنهم يلجأون إلى الصراع الذي يتحول إلى قتال ؛ لأنهم لم يشعروا بالقدر المتوقع من الاحترام الذي يرغبون فيه، ولهذا السبب قد تقوم الحرب فيما بينهم لأنفه الأسباب فالفرد يريد تأكيد ذاته ، لا لمن قصد إهانته فقط ، بل - أيضاً - فيما يتعلق بأي فرد آخر . فمن الناس من يسعى للحصول على القوة، لا لغرض آخر سوى الاستمتاع بها ، وعلى هذا النحو يكون التطلع إلى المجد ، مصدراً من مصادر الصراع . ومن هنا أمل هوبز أن يتواجد مجتمع قائم على القواعد العادلة لقوانين الطبيعة ، وذلك عن طريق دولة قوية تتمثل وظيفتها الوحيدة في استخدام قوتها ؛ لإعلاء هذه القوانين .

نستنتج إذن اتفاق هوبز مع ميكافيللي وفلسفته المتعلقة بمسألة الدولة فمثلاً اعتبر ميكافيللي أن الدولة تحقق قوتها بواسطة الحاكم القوي الذي يبني سلطته بعيداً عن الاعتبارات الأخلاقية والذي يتخذ من مبدأ القوة السبيل لتحقيق الوحدة الايطالية متجاوزاً بذلك كل تعاليم الدين فهوبز أيضاً يقر بأن الدولة هي صاحب السيادة وهذا الأخير هدفه إرجاع ممتلكات الإنسان التي فقدها في الحالة الطبيعية له ومن بين أهداف الحاكم - أيضاً - تحقيق الأمن والاستقرار والخروج من حالة حرب لكل ضد الكل ولن يتحقق ذلك إلا باعتماد الحاكم على القوة وفق سلطة مطلقة بعيدة عن السلطة الروحية والتي تسمح له بوضع قواعد القوانين الأخلاقية أو القانون الطبيعي الذي يحدد أغراض المجتمع المدني . " إن محاولة هوبز تحرير الإنسان من الخوف والأوهام كان من أجل محاربة حالة الفوضى ، التي كانت عليها الحياة الطبيعية " (47) وهو ما استقاه هوبز تماماً من ميكافيللي وأكد عليه .

#### 4 - أخلاق القوة الدينية عند ميكافيللي وهوبز .

شكلت القيم والمثل العليا التي رسختها المسيحية ، ثورة حقيقية في مجتمع كانت علاقاته قائمة على القوة والتمايز الطبقي ولعل أهم هذه القيم : المحبة ، والسلام ، والإخاء بين البشر . ولهذا رأى ميكافيللي وهوبز أن الأخلاق المسيحية حيله العاجز الضعيف عن القوة الفاقد لها ، ولا

تلامس الواقع فجاء نقدهما للمسيحية التي تعد عقبة في طريق أفكارهم الدموية التعصبية وهو ما نحاول أن نتناول تفاصيله فيما يلي :

كان للوضع الفاسد والمرتدي في ايطاليا من خلال التثنت والانقسام - كما ذكرت - ما دفع بميكافيللي إلي البحث عن المسئول عن هذا الوضع فوجد أن البابا والكنيسة المسيحية هم المسئولان عن تعاسة المجتمع الايطالي ، فالبابا بدلاً من أن يبقي حاكماً بين المسيحيين في أوروبا بأكملها جعل من نفسه حاكماً يسعى للسلطة والنفوذ مثله مثل أي حاكم زمني آخر . وهذا ما أدى إلى تردي الأوضاع وعرقل تحقيق الوحدة القومية الايطالية التي كان ميكافيللي يحلم بها . (48) بالإضافة إلي احتقار الفضائل العسكرية بدلاً من التمسك بها كالأديان الأخرى ، فالمسيحية برأيه وهي ترسم السلوك والأخلاق المسيحية لا تعبر إلا عن الذل والخضوع . (49) إنها تقدس الخائفين بينما باقي الأديان تكمن الفضيلة عندها في عظمة الروح وقوة الجسد وهذا ما جعلها دولة قوية .

يقول ميكافيللي أن الدين يسمح للناس بتمجيد أوطانهم والدفاع عنها وهكذا يتطلب منهم تدريب أنفسهم وإعدادها للدفاع إلا أن هذا العامل في التربية الدينية أهمل إهمالاً مؤسفاً مما أدى إلى الاستهزاء بالأوضاع الراهنة . (50) فالقيم التي يستهدف الناس تحقيقها يجب أن لا تكون قيماً ميتافيزيقية سماوية بل يجب أن تتلخص في العظمة والقوة والشهوة التي تتعدى حدود حياه الفرد وتخلده بعد مماته إلى الأبد وهذا في مقدور الإنسان أن يحققه لنفسه وإذا كان الإنسان سيستغني عن غاياته الميتافيزيقية فإنه لن يكون بحاجة إلى القانون الديني .

أما عند هوبز فقد توسع تدريجياً في نقاشه للمسيحية في كل مراجعه لفلسفته وفي الليفيانان يشكل قرابة نصف الكتاب لا وجود لإجماع مستقر حول كيفية فهم هوبز لأهمية الدين فقد حل بعض الشراح أن هوبز يحاول استعراض توافق نظريته السياسية مع التزامه بجوهر المسيحية لقراءه ، حيث يبدو أن الواجبات الدينية المسيحية تحرم تقديم هذا النوع من الطاعة المطلقة للحكام وهو ما تتطلب نظريه هوبز منهم وشكك آخرون بإخلاص هوبز لمسيحيته وجادلوا بأنه سعى إلى تقوية المعتقدات الدينية عند قارئه إن الدين ليس مصدرراً للقيم الأخلاقية وليس معياراً

نقيس به خيريته الشيء ، وهنا نلمس جانب من تأثير هوبز بفكر ميكافيللي وهي القطيعة التي أحدثها ميكافيللي مع الكنيسة .

حاول هوبز الفصل بين الدين والدولة . ويعود سبب ذلك إلى التفسيرات الخاطئة والفهم غير الصحيح من قبل الكاثوليكية للدين والكتاب المقدس إضافة إلى الخرافات الباطلة - من وجهة نظره - التي نشرتها ورسختها في عقود الناس والتي ولدت فيهم الخوف وجعلتهم يرضخون للدين والكنيسة فقد ضرب لنا هوبز العديد من الأمثلة في نهاية كتابه التتين عن هذه الخرافات التي قيدت عقول الشباب لكن هجوم هوبز لم يكن على الدين بل كان على تعاليم الكنيسة وآرائها وخرافاتا التي أثرت وسيطرت على صدور الناس وعقولهم . (51)

نستنتج من ذلك اتفاق هوبز مع ميكافيللي فيما يخص الدين والدولة ومحاولة الفصل بينهما فمزال هوبز يسير علي الخطي الميكافيللية إلي حد كبير .

ثالثاً : أثر أخلاق القوة عند ميكافيللي وهوبز فكراً وممارسة .

1 - أثر أخلاق القوة عند ميكافيللي وهوبز فكراً ( نيتشه أنموذجاً ) .

كانت أفكار نيتشه (1844-1900) ثورة فكرية نقدية خاصة في مجال الأخلاق. (52) فقد أعلن حربه على المبادئ المطلقة، التي لم يجرؤ أحداً على مناقشتها إذ يقول: " على الأخلاقيين الآن أن يتقبلوا نعتنا إياهم باللااخلاقيين نظراً لكونهم يشرحون الأخلاق، وكان الأخلاقيون القدماء يعطون أكثر مما يشرحون وهذا ما جعل أخلاقي الوقت الحاضر يقعون في هذا اللبس وهذه النتيجة غير سارة . " (53) فالإنسان الأخلاقي عنده ينتمي إلى نوع أدني من الإنسان اللاأخلاقي إلى نوع أضعف منه، إنه يشكل نموذجاً حسب الأخلاق وليس حسب نموذجهم هو؛ لأن قيمته تكمن خارجه، إذا ما هو إلا نسخه جيدة على أكثر تقدير. (54) فالأخلاق كما يبين نيتشه في كتابه هذا هو الإنسان هي "الحساسية المرضية للمنحط مع النية الخفية في الانتقام من الحياة . " (55)

كما تُعد فلسفه نيتشه هي إحدى المحاولات التي تنشُد الوصول إلى إجابات محددة عن الخير والشر لذلك عندما يطرح التساؤلات التالية: ما الخير ؟ ما الشر ؟ ما السعادة ؟ فإنه يجيب: "الخير ما يعد حسناً وهو كل ما ينمي الشعور بالقوة ، وإرادة القوة . أما الشر فكل ما يتأتى من

الضعف، وأما السعادة فهي الإحساس بأن القوة في تنام ، وأن هناك مقاومة يتم التغلب عليها ."  
(56) بل إن إرادة القوة غير قابلة للحساب. (57) والحياة مواجهة دائمة وصراع ضد كل أشكال الأكاذيب ، والخداع ، والزيف ، والوهم، التي أنتجت الإنسانية ، وتراكت عبر تاريخها ، حيث تختفي هذه الأخيرة وراء الخير . (58)

وهذا يبين لنا أن نيتشه قام باستبدال وزعزت تراث الفكر التقليدي ، حين جعل القوة ، أو إرادة القوة هي المعيار الجديد للقيم ، تختلف عن كل المعايير السابقة ، إنها إجابات مختلفة ومتميزة عن تلك التي قدّم الفلاسفة السابقون عليه ، فكانت محاولته تحديد القيمة الأخلاقية ، من حيث تجليها في التاريخ الإنساني في حالة الخير والشر ، وذلك بتقويض القيم الأخلاقية السابقة ، من خلال المنهج الجينيالوجي وفق التحليل والتفكيك والنقد ؛ من أجل الرجوع إلى الأصل الأول ، والغاية من وراء ذلك هو تقويم القيم ؛ لأنها مجرد لعبة أقنعة . (59) فسعى لتدمير الأخلاق القديمة القائمة على المحبة ، والصدق ، والتواضع ، لتحلّ محلّها أخلاق الإنسان الأعلى ، الذي تتجسّد فيه إرادة القوة ، الإنسان الذي لا يؤمن إلا بالقوّة والبطش ، ويسحق كلّ القيم السائدة ، بل وهو من يصنع القيم التي توافق أسلوب حياته . (60)

لقد أطاح نيتشه بقيم الفضيلة والرّحمة والإحسان ، وسمح للأقوياء أن يقضوا على الضعفاء ، بحجّة أنّ القويّ هو من يملك الحقّ في خلق القيم ، وفي فرض الهيبة ، وشقّ طريق الحياة كما يشاء بقوته وجبروته ، وحتىّ إذا استدعى عليه ذلك طمس الضعفاء ، بل عليه بالفعل القيام بذلك ؛ لأنّ الضعيف برأيه ليس له مكان في هذه الحياة ، فنيته يشه يعتبر أنّ البقاء فقط للأقوى . لكن هذه الأخلاق فقط في الحياة السياسيّة ، في ممارسة السّلطة حيث يحقّ للأمير أن يستخدم كل الأساليب الأخلاقية ؛ من أجل الحفاظ على أمن الدولة ، وتحقيق الوحدة الإيطاليّة . وبالتالي نستنتج أنّ نيتشه كانت فلسفته الأخلاقية أكثر قوّة ، وأكثر بطشاً من أخلاق ميكافيللي وكانت تعميماً لجميع مجالات الحياة ، على خلاف ميكافيللي الذي خصصها فقط في المجال السياسي .

لقد ظهر جلياً أثر أخلاق القوة الميكافيللية الهوبزية علي نيتشه حين صار علي منهجها الفلسفي وسخر من الضعفاء والفقراء، الذين يحسبون أنهم صالحون؛ لأنهم لا يملكون مخالبا

لينشبوها في أعناق الآخرين.(61) مؤكدا علي أن القوة هي المسيطرة علي كل شيء.(62) فنادي بإرادة القوة والتي تعد من المفاهيم الهامة في الطرح النيتشوي والتي تظهر في جُل مؤلفاته ، حتى انتهى إلى تأليف كتاب يحمل عنوان: إرادة القوة.(63) حيث ارتبط مصطلح القوة في إنسانيه الإنسان المفرطة، باستخدام قوته فكانت عند نيتشه بمثابة أساس أو مفتاح تغيير أنواع السلوك فربطه بمسائل المعرفة، بالإضافة إلى ما يكون منه من إحياءات في كتابه : العلم المرح الذي سيحمل فيما بعد اسم العود الأبدي وإرادة القوة .(64) وأكد على أن إرادة القوة هي مفتاح كل الحقائق لذا يرى أن الحياة تستلزم على الدوام الإرادة . وهذه الإرادة بدورها تستلزم القوة فغياب إرادة القوة هو استقصاء للحياة والحقيقة فيقول: "ما عثر على الحقيقة أبداً ، من قال بإرادة الحياة؛ لأن مثل هذه الإرادة لا وجود لها، وليس للعدم إرادة كما أن المتمتع بالحياة لا يمكنه أن يطالب الحياة، ولا إرادة إلا حيث تتجلى الحياة، ومع هذا فإن ما أدعو إليه هو إرادة القوة لا إرادة الحياة . (65)

كما تأثر نيتشه بميكافيللي وهوبز في القول بأن الفضيلة ضعف ونقيصة، لذا قدس نيتشه القوة؛ لأنه يعتقد أنها موجودة في كل أرجاء الكون، فهي جوهر الحياة وليس مجرد خاصية من خصائصها، إن القوة هي الفضيلة الأساسية بنظام نيتشه ، والضعف هو النقيصة الوحيدة، وأن الحكم الفصل في جميع الخلافات ومصائر الأمور هو القوة لا العدالة.(66) " إن الإرادة الوحيدة الملازمة للعالم ولكل حدث هي إرادة القوة . (67)

ولذلك نادي نيتشه بأن مبدأ القيم هو المرجعية التي لا بدّ أن تقوم عليها الأخلاق الحقّة ؛ فهي الحلّ الوحيد الذي بإمكانه أن يفصل لنا بين: أخلاق السّادة ، وأخلاق العبيد . (68) ومن هنا جاءت فكرة نيتشه حين جعل للعبيد أخلاق خاصّة ، تختلف عما للسّادة من أخلاق . فأخلاق السّادة حسبه هي أخلاق الأقوياء ، فيها يشعر الفرد بالسموّ والرّفعة، ولا تهتمّ بما ينجم عنها من فعل خيّر ، لكن الأهمّ هو الإحساس بالقوّة في نفس الفرد، جرّاء هذا الفعل الأخلاقي الذي لم يصدر عن خوف، أو ضعف، أو إكراه ، بل عن إحساس بالقوّة (69) فالأقوياء على أنواعهم من: عظماء ، ونبلاء ، وارسنقراطيون ، وطامحين ، ومحاربين هم خالقي ومبدعي القيم.(70)

أما فيما يخص العبيد، أو القطيع كما يسميها نيتشه فهي ناتجة عن ضعف وعجز، وتقهقر الغرائز فهي نتاج الانحطاط والخشوع ، وفقدان للقوة لذا فهم يعبرون عن طبقة الشعب، أو العبيد ، أو الرعاع ، أو القطيع . (71) إن قيم العبيد وتقويماتها الأخلاقية لا تركز على دعائم إرادة القوة ، بل هي رد فعل مضاد لقيام السادة ، بعد أن مارس هؤلاء عليهم كل أنواع الهيمنة ، والتسلط ، والقمع وكانت القيم التي وضعها ناتجة عن الشعور بالعجز ، ثم الحقد العنيف والدفين على الأقوياء النبلاء ، لذلك يبتدئ تمرد العبيد في الأخلاق عندما يصبح الحقد نفسه خلافاً إلى حد توليد القيم: حقد هذه الكائنات التي تتعذر عليها الاستجابة الحقيقية .(72) وهكذا ففي نظر نيتشه حفنة من القوة ، خير من كيس من الحق . وأن الضعفاء الذين يسمون عدم الأمانة خيانة وعار، والقوة ظلماً، يعبرون بذلك عن عجزهم ، وضعفهم ، وهوانهم . وأن من يريد الحياة يجب أن يسمح لرغباته بالانطلاق إلى أبعد مدى . أما الأمانة ، والعدالة ، والوفاء فليست من أخلاق الرجال الأبطال ، إنما من أخلاق العبيد . (73)

نلمس جانباً آخر من تأثير نيتشه بميكافيللي فلم يوافق بفكرة أنّ الأخلاق مرجعيّتها دينيّة ميتافيزيقية.(74) فالقيم والفضائل بالنسبة له دينويّة لصيقة بالواقع المعاش، لا بالواقع الميتافيزيقي، وبالتالي يكون قد فصل الأخلاق عن كلّ الإعتبارات الدينيّة والرّوحية ، فقد أكد نيتشه على أنّ الخير والشرّ من صنع البشر ، والإنسان هو الذي يضع القوانين ويسنّها ويفرضها على نفسه، وهي بذلك تكون نسبيّة، فما كان يراه شخص خيراً ، يراه آخر شراً .(75) فما دام أن الكاهن هذا الراض والمسمم للحياة أصبح النموذج الأعلى للبشرية ، والممثل الوحيد للحق، فإن الحقيقة ستظل مقلوبة رأساً على، عقب ولا جواب ممكن لم الحقيقة؟ لأن أخلاق ودين كالمسيحية لا يلامسان الواقع في أي نقطة . (76) وعليه يدعو نيتشه معاصروه إلى أن يتخلصوا من قيم المسيحية .

لقد تأثر نيتشه بأخلاق القوة عند ميكافيللي وهوبز خاصة فيما يخص المسيحية ، وجاء كرهه للمسيحية على اعتبار أنّ ليس هناك إله ، وأنّ المسيحية سيئة ، فهي تأكيد زائف عن الحب ، والشفقة ، والتعاطف ، فهي من أطاحت بالممثل والقيم اليونانية.(77) إنّها مفسدة للإنسان الحديث الذي يسعى لأن يكون روحاً حرّة ، ويثبت وجوده ويعتمد على نفسه . (78)

كما تأثر نيتشة بميكافيللي وهوبز في تقسيم الأخلاق إلي : أخلاق العبيد ، وأخلاق السادة ، فإن ميكافيللي قسّم بدوره الأخلاق إلى أخلاق شخصية، والتي بإمكان الحاكم أن يتحلّى بها في حياته الشخصية، وأخلاق السياسة والتي لا بدّ أن يأخذ بها الحاكم بمجرد دخوله من باب السياسة والحكم ، ويتجرّد من أخلاقه الشخصية .

نقطة أخري النقي فيها نيتشه وميكافيللي في القوة ، هذه الأخيرة فقد اعتبرها مبدأ مهماً ومرجعية أساسية للأخلاق لا بدّ أن تقوم عليه . لكن رغم كلّ هذا ورغم تأثر نيتشه بأفكار ميكافيللي لكننا نلمس نوعاً من الاختلاف ، فيما يتعلّق بنقدهما للمسيحية، فإنّ إدعاء نيتشه بموت الإله دليل على أنّه لا يعترف بالله وينفي وجوده ، ولا يكرث لأي أساس ديني ، لكن في المقابل ميكافيللي صحيح قد أنتقد القيم المسيحية ، لكنّه أعطى أهمية للدين فهو يعتبره ضرورة للكيان الاجتماعي ، وقد يساعد الحاكم بأن يتحكّم في الرعية وأن يسيطر على عقولهم .

كان نيتشه يقدّس القوة وينبذ الرحمة واللين ، وفي تقديسه للقوة والشجاعة، وافق توجّه ميكافيللي وهوبز نلمس ذلك في قوله: " الحرب والشجاعة خلقتا أشياء أعظم ممّا خلق الإحسان ... سوف تحبّون السلام كوسيلة لحروب جديدة، والسلام القصير خير من السلام الطويل." (79) ويضيف "إنني لا أنصحك بالعمل، بل بالحرب، ولا أنصحك بالسلام، بل بالنصر، اجعل عملك حرباً، وسلامك نصراً." (80) وهنا تأثر بميكافيللي في قوله : بضرورة الحرب لتحقيق السلام، وبأن حالات السلم تمهد لشيء خطير، وتخبّي في ثناياها الفوضى ، وهو ما أكدّه ميكافيللي فقال "عندما تنتصر في معركة، فإنّ هذا يُلغي كلّ أعمالك السيئة الأخرى ، وبنفس الطريقة عند الهزيمة في معركة فإنّ كلّ الأشياء الجيدة التي عملتها ، تضيع عبثاً بلا جدوى .(81) وهكذا تركت أخلاق القوة الميكافيللية الهوبزية أثراً فكرياً كبيراً علي نيتشة .

## 2 - أثر أخلاق القوة عند ميكافيللي وهوبز ممارسة ( الفاشية أنموذجاً ) .

لم يقف تأثير ميكافيللي وهوبز علي الجانب الفكري للفلاسفة فقط ، بل مس الواقع وأحداثه ، لذا نتوجه الآن إلي الواقع لنري بُعد فكريهما ممارسة ، فقد شاهد ميكافيللي الواقع الإيطالي المرير ، وشاهد هوبز عن قُرب الواقع الانجليزي السيئ ، فقدا فكراً يتلاءم مع الواقع يكون دواءً للداء الذي ينخر عظام بلدهما ، ولم ينجم عنه إلاّ الألم والأنين . وهو ما نتناوله فيما يلي :

كانت من أهم المبادئ والأسس التي قامت عليها الفاشية والتي استند عليها موسوليني في سياسته هي : الاعتماد على مبدأ القوة . (82) فبرأي الفاشية أن الروح العسكرية أرفع من الروح المدنية ، كما أن المنتصر أفضل من المهزوم ، وأبناء الأمة أولى بالبقاء من الضعفاء ، لذلك رفضت الفاشية كل مفاهيم الديمقراطية أهمها فكرة المساواة ، فحكم الشعب يعتبر وهم كاذب ، فالحكم والسيادة دائماً للدولة . وأن يكون الحكم بالحديد والنار . (83)

نفس الفكرة نجدها عند ميكيافيللي وهوبز حيث دعيا - كما سبق وأن ذكرت - باستخدام القوة ، وأن يكون الحكم بالحديد والنار ، وأن تحقيق دولة قوية لن يكون إلا بوجود قائد قوي ، وأن يكون ماكراً مكر الذئب ضارياً طراوة الأسد ، غادراً غدر الثعلب وأن يتعلم كيف يبتعد عن الطيبة والخير ، وأن يُحسن استخدام مبدأ فرق تسد ؛ من أجل المحافظة على سلطانه ، ولكن عليه في الوقت نفسه ، أن يكون ماهراً في إخفاء صفاته المرزولة ، بارعاً في الرياء وإظهار الصفات الحميدة ، بل وحتى التدين الشديد . فكانت هذه الأفكار الميكافيللية الهوبزية هي الدافع والحافز الذي اعتمد عليه موسوليني ليعيد القوة لإيطاليا ويحقق وحدة شعبها .

عملت الفاشية على السيطرة على الأفراد ، بواسطة العاطفة الأخلاقية ، وبناء أحداث تكون في صالح القائد ، حتى ينقاد كل الجماهير للرّعيم ، ويرون فيه كل آمالهم ، والمحقق لأحلامهم ، وتخليصهم من كل المشاكل ، فلا بدّ أن يروه في صورة الإنسان المعصوم من الخطأ ، لذلك كانت صور موسوليني معلقة على كل الجدران مع ذكر عبارة ( أنه على حق ) (84)

نفس الفكرة نجدها عند ميكيافيللي من خلال النّصائح التي قدّمها للأمير ، فقد كان يدعو الأمير - دائماً - بأن يبدو بمظهر جيّد وأن يحسّن صورته أمام شعبه ؛ حتى يكسب ولائهم وحبّهم ، وبالتالي يفعل ما يراه مناسباً لأمن الدولة ، دون اعتراض من رعاياه ، لذلك عليه أن يكون دائماً هو من يُنجر الأعمال العظيمة أمام مرأى الشعب ، كما يحقّ له أن يخلق أعداء ويتخلّص منهم بنفسه ، حتى يكون في صورة الحاكم الذي يفضّل مصالح رعاياه على مصالحه ، وبالتالي يجد نفسه الأهم علي الإطلاق ، ومهما حدث لن يتخلوا عنه ، وسيقفون معه في كل قراراته . وهو ما أكده ميكافيللي في كتابه فن الحرب . (85)

نفس الفكرة التي نادى بها الفاشية نجدها عند هوبز حيث نادى - كما سبق وأن ذكرت - أن الملك هو الذي يستطيع من خلال الحكم المطلق أن يحفظ الأمن ، والنظام ، والاستقرار ، ويخلص المجتمع من الإنسان الذئب ، وبالتالي تتحقق العدالة . (86) وعلي الملوك وأصحاب السلطة العليا، أن يكونوا في يقظة تامة ، وفي حالة استنفار شاهرين أسلحتهم مصوبة اتجاه بعضهم البعض .

نادت الفاشية بعدم قناعتها بمبدأ المساواة ؛ لأن كل فرد مختلف عن الثاني في قدراته الفكرية لهذا وجب على الحاكم أن يكون خاضعاً لعناصر تتوافر فيه حتى يستلم زمام الأمور . واعتبرت أن القوة فوق كل قانون ، كما اعتبر موسوليني أنه لا وجود لقانون يعلو القوة . (87) وهي بذلك متأثرة بما دعا إليه ميكافيللي - والذي رأي كما سبق وأن ذكرنا - أن للحاكم كل الأساليب والوسائل التي تحقق له غاية الدولة ، سواء أكانت أخلاقية ، أو غير أخلاقية ، تتوافق مع التعاليم الدينية ، أو تتنافى عنها ، فلا يهتم الوسيلة بقدر ما تهتم الغاية .

كما تأثرت الفاشية بأفكار هوبز ، والذي لا يشترط في الحاكم صاحب السلطان المطلق ، إلا أن يكون قادراً على فرض احترام أوامره ونواهيه ، فمتى ملك القدرة على ذلك ، فإن أوامره ونواهيه تكون قانوناً واجب الإتياع ، فهو الذي يملك وضع القوانين ، وتعديلها كما يشاء ، لا يرد على إرادته أي قيد في ذلك ، ويكون سلطانها شاملاً لا يستثنى منه أي أحد ، ولا أي شيء . يقول هوبز : " إن الاتفاقيات البعيدة عن السيوف ، ليست سوى ألفاظ ، خالية من أي قوة . " (88) وهكذا تركت أخلاق القوة الميكافيللية الهوبزية أثراً ملموساً علي الواقع الغربي .

هذه إذاً هي أخلاق القوة في الفلسفة الغربية وهي التي سادت بالقوة ، والسيوف ، والعنصرية ، فهل كان لهذه الأفكار الميكافيللية الهوبزية صدى في الواقع العالمي بالأمس واليوم ؟ نعم إنها هي التي جعلت بسمارك ونابليون لا يباليان بملايين الجنود الذين يموتون في سبيل تحقيق العظمة ، وفي سبيل نشوة القوة ، والشعور بالمجد ، وإن أخلاق المنفعة ، والقوة ، والعنصرية هي التي دفعت الاستعمار في القرون الماضية إلى بلادنا لنهب خيراتها وثرواتها ، وجعلته يبني أمجاده ، وثرأه ، ورفاهيته وحضارته على حساب فقرنا وامتصاص دماننا . (89)

إن فلسفة القوة الميكافيلية أثرت وبشكل كبير علي هتلر حيث يقول: " القوي مدعو إلي السيطرة علي الضعيف . " (90) الأمر الذي دفعه إلى إبادة ملايين البشر من اليهود ، والمعوقين ، والمسننين ؛ لأنهم رعا ع ، وأفواهاً مستهلكة غير منتجة ، وعد ذلك إنجازاً ؛ لأنه حرر النازية من أية أعباء أخلاقية مثالية ، وكذلك فعل ستالين حين أباد ملايين من الفلاحين في إطار دراسة علاقات الإنتاج ومعدلات النمو ؛ لأن هؤلاء - من وجهة نظره الديمويه - كانوا يعوقون عملية الإنتاج الحتمية .

كما دفعت فلسفة القوة أمريكا إلى إلقاء قنابلها النووية على هيروشيما وناجازاكي دون حساب لأي اعتبارات إنسانية ؛ لأن الرغبة في السيادة والسيطرة جعلت الاعتبارات الإنسانية مرجأة ، وهي التي جعلتها تقتل في فيتنام ثلاثة ملايين فيتنامي . وهي التي جعلتها قبل ذلك تبيد شعباً بأكمله هم الهنود الحمر ، لتحل محله في أرضه ووطنه . وهي التي دفعت بريطانيا لإبادة ثلاثة أرباع الشعب الأسترالي . ودفعت فرنسا لإبادة جماعية وإحراق مدن بأكملها ، وإبادة مليون ونصف إنسان في الجزائر . وما زال نبض الحس الأخلاقي موجود وقت الحرب ممن يعلنون من دون استسلام أن الدولة المعاصرة مطالبة بالتمسك ، ولو بالحد الأدنى من الأخلاقيات . (91) حتى أن ديفيد فيشر كتب مؤلفه القيم : الأخلاقيات والحرب . فيقول " إن طبيعة التفكير الأخلاقي تقضي بأنها تنطبق - ليس فقط - على المسائل الخاصة في التعامل بين الأفراد ، بل على الأعمال العامة كذلك ، وفضلا عن ذلك ، فليس على الأخلاق أن تتوارى ما أن تبدأ الحروب ، فلا توجد منطقة تتجمد فيها الأخلاقيات فُيبل ، أو أثناء ، أو بعض الحرب ، فالأخلاقيات ليست من قبيل الخيارات الكمالية التي يمكن إضافتها ، أو حذفها كما يحلو لنا . " (92)

هذه هي أخلاق القوة في الفلسفة الغربية كانت سبباً في سيل الدماء ، والقتل والدمار في سبيل تحقيق نصر واهن مع نشوة القوة . إنها أخلاق القوة التي تعاملت مع الإنسان بمادية صارمة كما لو أنهم مادة استعماله نسبية تخضع إلي القوانين الطبيعية والمادة . إنها فلسفة القوة بدون أخلاق ، إنها الفلسفة التي تسود العالم اليوم بلا رحمة ، ولا ضمير . إنها القوة التي لا تحفظ حرمة ، ولا تكتفي بما حققته من مكاسب ، كل ذلك كان - بلا شك - مصدر ألم لكل إنسان فيه ذره إنسانيه ، ولكنه مصدر لذة وشعور بالمتعة المغلفة بأخلاق العنصرية والكرهية .

لقد تأثر الكثير من القادة والزعماء في العالم الغربي بأفكار هؤلاء، حتى أنه يمكن القول أنهم استطاعوا تحقيق فلسفة تدميرية على نطاق واسع في العالم الغربي. إن الواقع يدفعنا للتأمل من جديد والاطلاع على أفكار هؤلاء لنرى مدى استمراريته وتطابقه مع واقعنا، الأمر الذي يجعلنا نستنتج أن هذه الأفكار لم تنتهي بعد، وإنما هي مستمرة ومازالت إلى يومنا هذا، لقد ألهمت أفكارهم العديد من الحكام بالحكم بالديكتاتورية وسفك الدماء بلا رحمة أو ضمير. (93)

ولعلي لا أجنب الصواب إن قلت أن توماس هوبز حاضر في واقعنا المعاصر: " فحالة الحرب التي يصفها في اللفيثان وإن كانت افتراض نظري لا وجود تاريخي له، أراد منه التأسيس للدولة التي تقترض السلام. " (94) هذا ما نلاحظه في البلدان التي ينهار فيها حكم القانون مثل ما نشهده في سوريا والعراق وغيرها اليوم حيث يتفكك المجتمع، وتتهار فرص بناء الحياة، وما يصاحب ذلك من البؤس والخراب والروح الذي يعاني منه الإنسان بسبب الخوف الدائم من الموت فالسلطة هي الضامن الوحيد الآمن.

إن ما نراه في العالم اليوم ليس له إلا سبباً واحداً للقوة، التي خلت من القيم ومكارم الأخلاق - بكل ما تعنيه هذه الكلمة - فكان احتلال، واستبداد، وقمع؛ من أجل أن يتربع الأقوى على عرش الرفاهية، وهو ما نجد آثاره في الواقع العالمي اليوم، بل نحن - المسلمين - نكتوي بناره، ونتلوى في سعاره. ولذلك فإن الطغاة، والجبابرة، اعتنوا بقراءة أفكار ميكافلي وهوبز ونيته واحتفظوا بها وتعلمذوا عليهما، حتى أن ميكافلي كان موضوعاً لرسالة الدكتوراه لموسوليني، وكان هتلر يضع كتب ميكافلي بالقرب من سريره ويقرأ فيها كل يوم قبل أن ينام، بالإضافة إلى لينين وستالين اللذان تتلمذا عليه. (95)

**رابعاً: رؤية تقييمية لأخلاق القوة الغربية من منظور إسلامي عن عالمنا المعاصر.**

مما لا شك فيه أن ثقافة القوة إنما تقدم للفرد تصورات أيديولوجية؛ من أجل أن تعطيه تبريراً لممارسه العنف، غير أن الإنسانية قد تنبتهت إلى أن إرادة القوة المغرية إنما تؤدي إلى الدمار والخراب، ليس عن طريق الحروب فحسب، بل أدت إلى كوارث أخرى منها القضاء على الإنسانية بالفقر، والمجاعة، والأوبئة، والجهل. ولأننا نتأثر بذاك الفكر الغربي في عالمنا الإسلامي أقول، إن الإسلام دين القوة، إلا أنها القوة المكبوحه بالرحمة، والإنصاف، والعدل.

المكبوحه بالأمانة، ومكارم الأخلاق. "فلم ينظر دين الإسلام إلى القوة باعتبارها وسيلة للقهر، أو التسلط، وإنما نظر إليها استعصاماً بالحق، ومجافاة للباطل، ولم تكن - أيضاً - قوه الاستعلاء والتكبر على الغير، وإنما هي قوة الإيمان بالله إيماناً يحزر الضمير والوجدان، ويرسخ التضحية." (96)

أخلاق القوة في الإسلام مكبوحه بالرحمة والإنصاف والعدل مكبوحه بالأمانة " القوي الأمين " قَالَ تَعَالَى: ﴿ نَحْنُ نَحْمَدُ بِهٖ تَحْمِيحًا تَمَّ ﴾ (97) والفرق بين المنظور الإسلامي للقوة والمنظور الفلسفي الغربي هو أن القوة في الإسلام للردع، لردع الشر والأشرار ، ولردع الباطل، أما في الفلسفة الغربية فكما رأينا القوة هي الفرعة والغطرسة والتأله ، وهي ليست لخدمة الإنسانية، وإنما لخدمة لون من ألوان الإنسان هو الإنسان الأبيض إن القوة في الإسلام نوعان :قوة مادية عسكرية ، وقوة معنوية هي الأمانة ، والثانية هي الحاكمة على الأولى والموجهة لها ، تحفظها من الطغيان ، وتمنعها من الظلم والجبروت ، وتحصنها بداعية الخوف والخشية من الله عز وجل، في حين القوة الغربية مدفوعة بدافع الغرور والأنانية والتمرد . (98)

إن الإسلام جاء ضد العنصرية مصطلحاً ومفهوماً ؛ لأن المصطلح نشأ في ظروف القتل والإبادة للآخرين، فالعنصرية جاءت من الزعم بأفضلية عنصر ما من البشر على عنصر آخر، والمقصود بالعنصر هنا الدم، والتكوين البشري، فاليهود يعدون أنفسهم مخلوقون من عنصر بشري مميز، ليكونوا سادة على الناس فيرون بأن أرواحهم "تتميز عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابنة جزء من والده، ومن ثم كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة إلى باقي الأرواح ، لأن الأرواح غير اليهودية هي أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات. " (99)

" وقد أطلق على القوة في الإسلام القوة المهذبة وهي قوة مهذبه ؛ لأن مبعثها الحق ، وتهذيبها ينطلق من أنها لا تبدأ بالعدوان . إن القوة في الإسلام لا تقتحم على الأمنين أوكارهم ، وإنما تشهر السلاح في وجه من شهره في وجهها ، فإذا خمدت الفتته عادت الأمة إلى حالتها الطبيعية من الهدوء والاستقرار. " (100) وعلى هذا جاء منهج الإسلام ليرسم إطارا لحياه الإنسان يجمع له فيه بين الدنيا والآخرة في نظام الدين ، وبين الروح والمادة في حياته ، وبين العمل والعبادة حين يقيم حركته وفق وحدة جامعة بين الإيمان والمسلك ، ومن ثم يتضح أن

منهج الإسلام جاء بشموله وعمومه، جامعاً بين أمور الدين وأمور الدنيا، بين العبادة والسياسة، بين القيم الدينية والقيم المادية.(101) فالظلم بكل صوره وأشكاله وأياً كان مصدره فرداً، أو جماعة، أو سلطة هو أمرٌ منهي عنه في الإسلام وعلى المسلمين دفعه وعدم السكوت عليه، أو الركون للظالم.(102)

إن استخدام القوة في حل الصراعات والنزاعات في كل الأحوال داخل رحم شعوب الأمة أمراً غير مشروع تختلط فيه الأوراق وتُعَمُّ فيه الرؤية ، وتصبح المعارك والمناظرات وكأنها أدوات من الدفاع عن النفس ، وطلب البقاء مجردة من الأسباب والقضايا التي جرت إليها بفعل السيطرة ، والظلم لتدفع تلك القضايا إلى الخلف بعيداً عن بؤره الرؤية ، ولُب الاهتمام وبالطبع فإنه لا ينجم عن ذلك خير ، ولا نفع ، ولا تحرر ولا إصلاح. (103) فما هي أخلاق القوة في عهده صلى الله عليه وسلم قد تمثلت حين أرسل - صلى الله عليه وسلم - إلى الملوك قبل الحرب ، معهم رسائل سلام ومحبه ، قبل استخدام القوة والقتل والعنف ، ومنها رسالته - صلى الله عليه وسلم - إلى هرقل عظيم الروم جاء فيها " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فاني ادعوك بدعاية الإسلام اسلم تسلم، اسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك اسم الأرسين . " (104)

ورسالته - صلى الله عليه وسلم - للقيصرة والأكاسرة والملوك والأمراء قبل استخدامه للقوة في الدعوة إلي الحق والسلام والتي فيها " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، ادعوك بدعوة الله عز وجل فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين،اسلم تسلم فإن أبيت فعليك اسم المجوس."(105) لقد وعى الرسول - صلى الله عليه وسلم - الحروب ومآسيها الإنسانية غير أنه - صلى الله عليه وسلم - راعى فيها أخلاق القوة عند الحرب والسلام، " وفي المحصلة تظل الحروب مأساة إنسانية على غير أصل الإخاء الإنساني وعلاقاته السلمية بسبب اختلاف المشارب وضلال النوازع، وتفرق السبل فلا يبقى في الحكم على الحروب ومآسيها إلا ميزان العدل والضرورة وعدم الإسراف، أي أن ميزان الحروب تحكمه الغايات والقيم الإنسانية." (106)

لقد دخل النبي - صلى الله عليه وسلم - مكة دخول نبي كريم - والقصة معلومة - دخول من أرسله الله رحمة للعالمين ، ولم يدخل دخول المنتصرين الجبارين ، الذين يبیطشون وينتقمون من أعدائهم الذين أخرجوهم من ديارهم ، وأموالهم ، وآذوهم ، وقاتلوهم ، بل قابل ذلك بالعفو الكريم ، والصفح الجميل ، ولو شاء أن يثأر لفعل ، فهو في قمة انتصاره وتمكينه ، يقطف ثمار صبره وصبر أصحابه وجهادهم ، فتحاً مبيناً ، دون علو في الأرض ولا فساد ، بل في تواضع لله ، وعفو جميل . وهو درس في قوة الأخلاق لا أخلاق القوة . ألا ما أجمل العفو عند المقدرة ، وما أعظم النفوس التي تسمو على الأحقاد والانتقام ، بل تسمو على أن تقابل السيئة بالسيئة ، ولكن تعفو وتصفح ، والعفو عن من ؟ عن قوم طالما عذبوهم وأصحابه ، وهموا بقتله مرارا ، وأخرجوه وأتباعه من ديارهم ، وأهلهم وأموالهم . (107)

لقد أدت الأفكار الغربية للقوة الغاشمة المفرطة إلي غياب التسامح وانتشار ظواهر : التعصب ، والعنف ، وسيادة عقلية التحريم والتجريم في السلطة وخارجها ، من قبيل جماعات التطرف والتشدد ، سواء على الصعيد : الفكري ، أم السياسي ، أم الاجتماعي ، أم الثقافي ، أم ما يتعلق بنمط الحياة . ففكرياً : إن عدم التسامح ، يعني حُجب وتحريم حق : التفكير ، والاعتقاد ، والتعبير ، بفرض قيود وضوابط ، تحُول دون ممارسة هذا الحق ، بل تُصدِر أحكاماً وعقوباتٍ علي الذين يجزؤون على التفكير خارج ما هو سائد ، سواء أكان ذلك بقوانين مقيّدة ، أم عبر ممارسات قمعية ، تحت ذرائع شتى .

وسياسياً : إن اللاتسامح يعني احتكار الحُكم ، والسعي للسيطرة عليه ، وتبرير مصادرة الرأي الآخر ، سواء باسم : القومية ، أم الدين ، أم الطبقة ، والدفاع عن مصالح الكادحين ؛ لإسكات أي صوت ، يروج لفكرة الاستئثار ، وإدعاء امتلاك الحقيقة .

ودينياً : إن عدم التسامح يعني منع الاجتهاد ، وتحريم بل وتكفير أي رأي حر ، بحجة المروق في ظل تبريرات ضبابية ، تمنع الحق من إعطاء تفسيرات مختلفة ، خصوصاً ضد ما هو سائد ، وأحياناً تزداد اللوحة قنامةً في ظل التشدد لدين واحد ، أو لفكر مُعيّن ، وعبر الغطرسة الطائفية أو المذهبية ، في محاولة لإلغاء : الفرق ، والمذاهب ، والاجتهادات الفقهية الأخرى . بل وفرض الهيمنة عليها بالقوة .

إن ما نشاهده- اليوم- من صراع محتدم بين: القوميات، والأديان، والمذاهب في جميع المجتمعات العربية على وجهٍ أخصّ. يكشف عن وجود عوائق تواجه التسامح وضعتها أفكار ميكافيللي وهوبز ونيثشة، فهو في نظر الأوساط المتصارعة لا يَعدُّ كونه قيمة أخلاقية ، تتحكم فيه المؤثرات الاجتماعية، والسياسية، وما نحتاجه - فعلاً- لتوطيد العلاقة بين الطوائ والقوميات ، يرتكز على أسس متينة ، تتفادى الاحتكاك على خطوط التماس .

ولاشك في أن التسامح لا يمكن تحقيقه بسهولة، وتتوقف فاعليته على حجم استجابة الأوساط الاجتماعية والدينية لضروراته، وهو أمر صعب، يحتاج إلى تعليم طويل، يخفف الإنسان من : حدة غلوائه وتطرّفه، واعتداده بنفسه. ويحتاج عودةً متأنيةً للذات ؛ من أجل نقدها ، وتمحيص بنائها الفكرية والعقدية ، وتأهيلها لتكون أرضية صالحة لاستنبات أنساق قيم التسامح الجديدة . هذا وقد أكد الفكر الإسلامي والفكر الغربي على : التسامح ، والتعايش وقبول الآخر بين البشرية ؛ وذلك لأن الأصل البشري هو واحد .

إن المجتمع العربي الإسلامي - بصورة عامة - بحاجة إلى ثورة من القيم السامية ، تنهض وتتبعث في جسد المجتمع ، من أبرزها: القيم الثقافية ، والمعرفة بحقوق الإنسان ، وقبول التعددية ، واحترام الرأي والرأي الآخر ، واجتناب أساليب العنف والإرهاب ؛ للوصول إلي الغاية المنشودة. فتاريخ الاستبداد في المجتمعات العربية ، كان قد مسح العديد من معالم الثقافة الإسلامية ، التي تركز على الاعتراف بكرامة الإنسان بما هو إنسان ، وبِعَضِّ النظر عن أي عنوان آخر .

إن المتأمل في حال الأمة - اليوم - يأسى لما يجده من استحكام الفرقة والتنافر، وشيوع التناؤ والانقسام ، في واقع مجتمعاتنا العربية والإسلامية، ومن هذا التنافر: ما هو ديني، ومنه ما هو طائفي، ومنه السياسي، ومنه الفكري، ومنه الثقافي ، ومنه الاجتماعي . كذلك استغل الأمر ليطال كافة مجالات الحياة في واقعنا الراهن، وهذا يؤكد حاجتنا الماسة ، إلي إعادة النظر والتفكير العميق في الآثار السلبية لغياب التسامح في الفكر الإسلامي والفكر الغربي الحديث . " وعلي شبابنا أن يكون متديراً وواعياً بهذه المتناقضات التي تحيط به ، وأن تكون أيديولوجيته الحقّة، هي الأيديولوجية المنطلقة من ذات أصالته وتراثه ومتمشية مع معطيات بيئته ، ومتجاوبة

مع قيمه الحضارية الإسلامية العربية العريقة ... بهدف الاعتزاز بهويتنا الإسلامية العربية ،  
والاعتزاز بقيمتنا الأصيلة وتقاليدنا العريقة .

لقد ضرب النبي - صلى الله عليه وسلم - بعفوه عن أهل مكة للدنيا كلها ، ولأجيال المتعاقبة  
مثالاً في البر والرحمة في سمو نفس لم تعرفه البشرية بأسرها وهذا من دلائل نبوته وعظيم  
أخلاقه . (108) فلا مكان لأخلاق ثعلبية ميكافيلية بغیضة ، ولا ذنبية هوبزية ماكرة شريرة ،  
حين تتمكن تقتل دون رحمة ، أو وازع من عقل ، أو رادع من ضمير . بون شاسع بين من  
امتدت يديه الشريفة وهو صاحب السلطان والقوة ، وبين من تمتد يده إلى ما في أيدي الناس ،  
بل وقتلهم وتحريق ما لا تستطيع يده الوصول إليه ، كلما ارتخت قبضة الليفيان . ! إنه  
التأسيس للاستبداد والعنصرية ، في حين كان - صلى الله عليه وسلم - تأسيساً إلى الأخلاق  
المهذبة والتي مبعثها الحق ، وتهذيبها ينطلق من أنها لا تبدأ بالعدوان . فالغاية ليست دائماً ما  
تبرر الوسيلة . ففي الإسلام الهدف لا بد أن يكون مشروعاً ، والغاية لا بد وأن تكون مقبولة .

ولهذا نجد أنّ الإسلام لم يستعمل القوة يوماً لفرض إرادته على الآخرين ، واستعمار بلادهم  
واستغلالهم والسيطرة عليهم أو سلبهم حقوقهم المدنية والإنسانية ، وإنما استعمل القوة  
ضدّ الذين حاربوه وأرادوا إسقاطه حتى لا يشكّل خطراً على عروشهم وامتيازاتهم ، كما حدث مع  
الإمبراطوريتين الفارسية والرومية اللتين حاربتا الإسلام خوفاً من تمدده واستمالة قلوب الناس إليه  
، فاضطرّ المسلمون لاستعمال القوة لإسقاطهما ممّا مهّد الطريق أمام تلك الشعوب للإيمان  
بالإسلام ودخولهم فيه وصيرورتهم جزءاً لا يتجزأ من الأمة الإسلامية حتى يومنا هذا.

بل نرى أكثر من هذا ، حيث لم يجبر الإسلام وفي دياره من يعتقد غير الإسلام ديناً على  
الدخول في الإسلام بالقوة ، بل ترك لهم حرية العبادة والمعتقد طالما أنّهم لا يقومون بخيانة  
الدولة الإسلامية التي تحتضنهم وتأويهم ، وعاش المسيحيون واليهود جنباً إلى جنب مع  
المسلمين حتى اليوم ، ولو أراد الإسلام استعمال القوة لأجبر أولئك الناس على الدخول في  
الإسلام قهراً عنهم ورغمهم ، إلاّ أنّه لم يفعل ذلك لأنّ الإسلام يريد للناس أن تؤمن  
عن قناعة ذاتية وإيمان صاف نابع من القلب والعقل والروح والوجدان ، لأنّ مثل هذا الإسلام هو  
الذي لا تتخلى الناس عنه لو آمنت به.

فالإسلام بما أنه دينٌ إلهي النشأة والمرجع لا يسمح لأتباعه بجعل القوة أداةً ووسيلةً للسيطرة والقهر والاعتداء والظلم ، وإنما هو وسيلة للدفاع عن الأمة لإزاحة العقبات من أمام الناس المنحرفين والمضللين للعودة إلى الصراط المستقيم . فالتبؤد الإلهي في الإسلام يعطي للقوة عند المسلمين صفات الرحمة والرأفة والعفو عند المقدرة ؛ لأنّ وظيفتها تختلف جذرياً عن القوة عند الفكر الغربي الذين لا ينطلقون من منطلق إلهي، ويرون أنّ القوة هي الوسيلة للسيطرة والهيمنة وفرض الإرادة والمصير على الضعفاء من الأفراد والأمم والشعوب كما حدث في القرنين التاسع عشر والعشرين، حيث عملت الدول القوية في العالم وبما تملكه من أدوات القوة على السيطرة على معظم دول العالم وقهرها واستغلال مواردها وإقامة أنظمة على ما يناسب مصالحها ومنافع شعوبها بغضّ النظر عن مصالح الشعوب المستضعفة والمقهورة .

فالقوة عندما تتجرّد عن أبعادها الإلهية والإنسانية وتخلو من عناصر الرحمة والعفو تصبح قوةً شيطانية فاجرة مستبّدة تمارس أبشع أنواع القتل والجرائم بحقّ الأفراد والشعوب ، كما أنّ التنافس بين الأقوياء من هذا النوع يسبّب الحروب والويلات والدمار طمعاً في السيطرة والغلبة ، ولذا شهد القرن العشرون حربين عالميتين سبّبتا الكثير من الدمار والقتلى الذين وصل عددهم إلى عشرات الملايين من البشر نتيجة لأفكار الغرب المتطرفة في استخدام القوة ، فضلاً عن عشرات بل مئات الحروب الإقليمية بسبب التنازع بين القوى الكبرى التي لا تهتمّ بمصائر الشعوب أكثر من اهتمامها ببسط سيطرتها ونفوذها على القسم الأكبر من العالم ولو على حساب العذابات والآلام والفقر والجوع والأمراض التي فتكت بالكثير من الشعوب على امتداد القرنين الماضيين ومن ضمن هؤلاء الشعوب الإسلامية التي ذاقت المرارات وتجرّعت الغصص، وكان الابتلاء الأكبر للقوة الغاشمة طرد الشعب الفلسطيني من أرضه ، وإحلال الشعب اليهودي بدلاً عنه في تلك الأرض الإسلامية المقدّسة التي ما زلنا نعاني من وجوده في قلب العالم الإسلامي من خلال الإجرام الذي يمارسه بحقّ الشعب الفلسطيني والعربي عموماً بل الإسلامي ككلّ . إنّ نشوء هذا الكيان الغاصب كان وليد القوة المجرّدة عن الضوابط الإلهية والإنسانية والأخلاقية ، وما زالت هي السبب المباشر في بقائه وتقويته وتزويده بكلّ أنواع الأسلحة التي تسمح له بالبقاء قوياً في

مواجهة أصحاب الحق الشرعيين رغماً عن إرادة كلّ دول وشعوب العالم الإسلامي والعالم المتحضّر.

#### - نتائج الدراسة .

بعد أن تناولت أهم القضايا الأساسية الخاصة بأخلاق القوة الغربية وانعكاساتها علي الفكر الإسلامي دراسة نقدية نخرج من هذا البحث - المتواضع - ببعض النتائج ، والتي من أهمها :

1 - تأثر ميكافيللي بالمنابع الفكرية السوفسطائية والتي كانت اللبنة الأولى التي بني عليها أفكاره الكاملة عن القوة فقد اجتر الأخلاق السوفسطائية وأضاف إليها مبدأه بأن الغاية تبرر الوسيلة . فدعي إلي تكريس مبدأ القوة داعياً المستعمر إلي التخريب لأنه الوسيلة الوحيدة للإبقاء علي المستعمرات وأكد علي أن حياة السيطرة علي الآخر هي الحياة الصحيحة فيتغلب القوي علي الضعيف فيعيش كما يحب ويهوي مرتكزاً علي قوته وجبروته .

2 - تأثر هوبز بالأخلاق الأبيقورية القائمة علي مبدأ اللذة . وأضاف إليها سيكولوجيه الأنانية وكانت الدافع الفكري الذي بني عليه رأيه حول أخلاق القوة .

3 - كانت لظروف العصر التي عاشها ميكافيللي إنعكاساً كبيراً علي فلسفته حول أخلاق القوة والكلمة الطولا في أفكاره فقد ولدت من رحم الظروف القاسية التي عاشها . ويبدو أن الجو المشحون ، والحروب اللامتوقفة ، والتناحر ، والخيانات والغدر وضغوط الكنيسة ، وجيوش المرتزقة ، والنفي والوشايات ، وعنف المرحلة ، وبشاعة الحروب والسجون والانتقام ... كلها أمور أثرت ووسمت كتابة ميكافيللي لتاريخ الفترة ، وأثرت علي مقترحاته ونظرته للأمور . حيث تعرضت إيطاليا إلي التمزق والحروب الأهلية والصراعات فراح ميكافيللي يدعو إلي الوحدة الوطنية متخذاً من القوة السافرة والوسائل اللاأخلاقية أدوات لتحقيق هذه الوحدة حتى نادي بأن دولة الأخلاق تنهار ودولة القوة تستمر فكانت هذه الآراء التي استنقاه ميكافيللي من ظروف عصره صدمة للوسط الفكري آنذاك مؤكداً علي أن الناس شريرون كما دلت علي ذلك التجارب التاريخية ومن الحمق أن يعاملهم الحاكم بإخلاص ، وهكذا ألفت ظروف العصر التي عاشها ميكافيللي بظلالها علي فلسفته حول أخلاق القوة .

4 - كانت لظروف العصر التي عاشها هوبز قريبة جدا لميكافيللي فالظروف التي عاشها هوبز في إنجلترا كانت حافلة بالعنف والاضطرابات فكان هوبز من أوائل الفلاسفة الداعين إلي تحقيق الوحدة بأي طريقة كانت حتى وإن كانت علي حساب الأخلاق والقيم .

5 - إتسمت حالة الطبيعة عند ميكافيللي وهوبز بالإنانية وحب الذات ونكران الجميل لذا يجب علي الحاكم إستخدام القوة وان يمارسها وإنما حددت ذلك الضرورة إنها حالة خالية تماماً من قيم التسامح والإخاء والرحمة . وهنا واصل هوبز مسيرة ميكافيللي بأن وضع الأخلاق في مكانها الطبيعي المتمثل في الضمير واتفقا علي أن القوة هي المصدر الموثوق الذي يمكن الاعتماد عليه في ممارسة السلطة . فالطبيعة الإنسانية الأنانية هي المسلمة التي بنى ميكافيللي عليها فلسفته الواقعية وطالب الأمير بأن لا يغفل حقيقة البشر الماكرة ليتعامل معهم بأشد مكرًا ودهاء .

6 - نظراً للوضع الفاسد والمترددي في إيطاليا ما دفع ميكافيللي إلي البحث عن المسئول عن هذا الوضع ووجد أن البابا والكنيسة المسيحية هما المسئولان عن تعاسة المجتمع الإيطالي . أما هوبز فقد توسع تدريجياً في نقاشه للمسيحية فسعي إلي التأكيد علي أن الدين ليس مصدراً للقيم الأخلاقية وليس معياراً نقيس به خيرية الشيء وهنا نلمس جانباً من جوانب تأثير هوبز بميكافيللي وهي القطيعة التي أحدثها ميكافيللي مع الكنيسة . لقد مثلت القيم والوسائل العليا التي رسختها المسيحية تهديداً لأفكار ميكافيللي وهوبز حول أخلاق القوة لذا عارض المسيحية ومبادئها تحت ادعاءات مختلفة الأمر الذي ترتب عليه صدام الكنيسة مع ميكافيللي وهوبز .

7 - ظهر جلياً أثر أخلاق القوة الميكافيلية والهوبزية علي مستوي الفكر في العديد من الفلاسفة وكان أهمهم نيتشة ، حيث سار علي منهجها الفلسفي وسخر من الضعفاء والفقراء . مؤكدا علي إستخدام القوة في كل شيء وأكد علي أن إرادة القوة هي مفتاح كل الحقائق حتي نادي بأن حفنة من القوة خير من كيس من الحق بل إمتد تأثير ميكافيللي وهوبز علي نيتشة فيما يخص المسيحية وجاء كرهه للمسيحية لأنها تأكيد زائف علي الحب والشفقة والتعاطف . لذلك بني نيتشه فكره على مفهوم القوة بمختلف تجلياتها ، سواء كانت عسكرية ، أو جسدية

، أو سياسية ، لكن القوة الأساسية لفكر نيتشه هي القوة التي يرتكز عليها الفرد ليؤسس القيم التي يتبعها في حياته ، والتي يطلق عليها نيتشه اسم " إعادة تقييم القيم " ليكون للإنسان قيم جديدة مغايرة للقيم التي تحكم محيطه العائلي أو التي تلقنها من النظام التعليمي والديني ، وفي الطريق لكي يصبح الفرد الرجل السوبرمان يجب عليه التعالي على القواعد الأخلاقية التي تضبط سلوك الإنسان وتقيده .

8 - اختلفت الحركة الإنسانية في عصر النهضة الأوروبية ، عن النزعة الميكافيلية في مرتكزاتها الفلسفية وتوجهاتها ومقولاتها، وفي هذا السياق يمكن الإشارة إلى نقطتين أساسيتين:

النقطة الأولى: أن الحركة الإنسانية قد ركزت بشدة على الفضائل العامة ، وعلى القيم والقواعد الأخلاقية والدينية ، وأولتها أهمية كبرى في تصوراتها وأفكارها . بينما نحت النزعة الميكافيلية باتجاه آخر، وشددت على النزعة الفردية والأنانية ، ولم تبال بالفضائل والقيم إلا بمقدار نفعها ، ودعت إلى التزام الحياد فيها .

النقطة الثانية: هي أن النزعة الإنسانية اتخذت منحى عاماً يمقت الحروب ، ويرفض اللجوء إليها أو استخدام القوة ووسائلها ، مقابل النزعة الميكافيلية التي مجدت وشرعنت استخدامها للوصول إلى الغايات السياسية البعيدة عن مكارم الأخلاق والقيم .

9 - الهمت أفكار ميكافيلي وهوبز العديد من الحكام والملوك خاصة فكرة القوة كأساس لنجاح الدولة ووحدتها وقوتها مستخدما الوسائل المشروعة وغير المشروعة لبلوغ هذا الهدف وهو ما لاقت البشرية جراه القتل والدمار والعنصرية منذ هتلر ومرورا بموسليني ووصولاً إلى القنبلة النووية الأمريكية على اليابان وحتى احتلال العراق تحت زعم أسلحة الدمار الشامل والى الحرب الحالية الروسية الأوكرانية وغيرها كثير .

10 - أثرت أخلاق القوه عند ميكافيلي وهوبز على المستوى النظري والواقعي وعلى المستوى الفكر والممارسة أما على مستوى الفكر فقد اعتمدنا على نموذج واحد وهو الفيلسوف نيتشه والذي صار على منهجهما إلى حد التطابق ودعا إلى إرادة القوة غير أنه اختلف معهم في شراسته في المواجهة التي تعرض له وأما على مستوى الممارسة والواقع ترك أثراً شديداً على

حركات دموية كالفاشية والنازية وكانت لأرائهما الداعم الأكبر إلى الديكتاتورية والعنف والاستبداد . ولكن لا بد من التفريق في النهاية - من باب العدل والإنصاف - بين الميكافالية الحقيقية الصافية والميكافالية الناتجة عن الفهم والتحليل والتطبيق ؛ والتي استعملها البعض لتوافق أهدافهم ومبادئهم وأغراضهم . واستعملتها الدول التي كانت في حاجة لمثل هذا النوع من التأويل لمكيا فيلي ، وكذلك بعض رؤساء وملوك الدول الذين رأوا في مكيا فيلي حلاً سحرياً وسهلاً ومباشراً للسيطرة وضبط النظام ، وضرب الخارجين عن الحكم . ولا غرو في أن يتبنى أيديولوجيو الفاشية آراء نيتشه وأن تتبناها أيضاً النازية الألمانية وتعمل بتعاليمها . إذ تغزو الابسيتمولوجيا المهيمنة - بهذا المعنى - رهينةً للروح الميكافيلية التي توجهها . ولما كانت هذه الروح ومعها إرادة القتال المتحفزة بحاجة إلى فلسفة لتبريرها ، فقد وجدت في مآثر نيتشه الفلسفية ضالتها .

11- مثلت اتجاهات مكيا فيلي تجاه الأخلاق التقليدية والمعايير الدينية للسلوك البشرية المصدر الرئيس للخلاف، خصوصاً فيما يتعلق بكتابه الأمير . أحد أكثر الرؤى قسوة والتي ترى أن مكيا فيلي هو معلم الشر على أساس أنه ينصح القادة بتجنب القيم العامة للعدالة، والرحمة، والاعتدال، والحكمة ، وحب شعوبهم، وبدلاً من ذلك استخدام القسوة، والعنف، والخوف، والخداع . بينما هناك رؤية أكثر اعتدالاً، ترى أن مكيا فيلي كان ببساطة واقعي أو برجماتي يدعو إلى تعليق الأخلاق الشائعة في المسائل السياسية . ليس هناك مكان للقيم الأخلاقية في بعض القرارات التي يتوجب على القادة السياسيين اتخاذها ، والتفكير خلاف ذلك بمثابة خطأ تصنيف من الدرجة الأولى. ربما النسخة المخففة من الأطروحة للأخلاقية هي تلك التي تزعم أنه يمكن اعتبار ارتكاب الحكام للأفعال الشريرة بمثابة الخيار الأخير المتاح . بالتركيز على ادعاء مكيا فيلي في الأمير أن رئيس الدولة يجب عليه أن يكون خيراً متى استطاع ذلك ، ولكنه يجب أن يكون مستعداً لارتكاب الشر متى توجب عليه ذلك وما نستنتجه هو أن مكيا فيلي يري الاتساق مع الفضيلة الأخلاقية متى تساوت الأمور الأخرى .

هوامش الدراسة :

- (1) محمد عبد الرحمن مرحبا : تاريخ الفلسفة اليونانية ؛ من بداياتها حتى المرحلة الهلنسية ، ط 1 ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، 1993 ، ص 5 .
- (2) فريديريك نيتشه : الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي ، ط2 ، ترجمة سهيل القش ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، 1982 ، ص 49 .
- (3) ..... : المرجع في تاريخ الأخلاق ، ط 1 ، جروس برس ، طرابلس ، 1988 ، ص 20 .
- (4) فيصل عباس : الفلسفة والإنسان ، ط1 ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت، 1996، ص 81.
- (5) محمد مهران رشوان : تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، دار قباء للطباعة والنشر، 1998، ص 50.
- (6) أميرة حلمي مطر: الفلسفة عند اليونان تاريخها ومشكلاتها، دار قباء ، القاهرة ، 1988 ، ص 122.
- (7) أفلاطون جمهورية أفلاطون، ترجمة حنا خباز ، دار القلم ، لبنان ، بدون تاريخ ، ص 109 .
- (8) والتر ستيس : تاريخ الفكر اليوناني ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، دار الثقافة، القاهرة، 1984، ص 109.
- (9) زكي نجيب محمود، أحمد أمين : قصة الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1966، ص 69 .
- (10) محمد علي محمد وعلي عبد المعطي محمد: السياسة بين النظرية والتطبيق، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، 1984 ص ص 61 - 62 .
- (11) ارنست باركر : النظرية السياسية عند اليونان ، ترجمة لويس اسكندر ، ج 1 ، مؤسسه سجل العرب ، القاهرة 1966 ص 125 .
- (12) حسين حرب : الفكر اليوناني قبل أفلاطون ، ط 1 ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، 1990 ، ص 92 .
- (13) مصطفى حلمي : الأخلاق بين الفلسفة وعلماء الإسلام ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2004 ، ص 9 .
- (14) جلال الدين السعيد : أبيقور الرسائل والحكم ، دراسة وترجمة الدار العربية للكتاب ، 1991، ص 206 . وكذلك : - اندريه كرسون : المشكلة الأخلاقية والفلاسفة ، ترجمة عبد الحليم محمود ، وأبو بكر ذكري ، دار الشعب ، القاهرة ، 1979 ، ص 74 .
- (15) عبد الرحمن بدوي : خريف الفكر اليوناني ، مكتبه النهضة المصرية ، ط 4 ، القاهرة ، 1970 ، ص 63 .

- (16) محمد علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي أرسطو والمدارس المتأخرة ، دار النهضة العربية ، ط 3 ، بيروت ، 1976 ، ص 269 .
- (17) فرانسوا غويغوار : المذاهب الأخلاقية الكبرى ، ترجمة قتيبة المعروفي ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط 3 ، 1984 ، ص 92 .
- (18) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، دار القلم ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص 219 .
- (19) السيد محمد بدوي : الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2000 ، ص 87 ،
- (20) بن صابر محمد ، بن حلیم شوقي : الميكافيلية في الفكر الفلسفي الحديث والمعاصر ، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية ، المجلد ( 9 ) العدد ( 4 ) 2021 ، ص 152 .
- (21) عبد الإله بلقزيز : المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد 178 ، لبنان ، 1993 ، ص 23 .
- (22) عبد الرحمن خليفة ، ومنال أبو زيد : الفكر السياسي الغربي ، أورينتال الإسكندرية ، 2006 ، ص 78 . وكذلك : - حورية توفيق مجاهد : الفكر السياسي من أفلاطون إلي محمد عبده ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1986 ، ص 310 . وكذلك :
- إمام عبد الفتاح إمام : الأخلاق والسياسة دراسة في فلسفة الحكم ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2011 ، ص ص 258 - 261 .
- (23) حسن شحاته سعفان : أساطين الفكر السياسي والمدارس السياسية ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، 1959 ، ص 206 .
- (24) إمام عبد الفتاح إمام : الأخلاق والسياسة دراسة في فلسفة الحكم ، مرجع سابق ، ص 265 .
- (25) عبد الرحمن خليفة : أيديولوجيا الصراع السياسي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1987 ، ص 70 .
- (26) نجاح موسى : المنفعة الفردية عند توماس هوبز ، ط 1 ، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر ، إسكندرية ، 2001 ، ص 41 .
- (27) موسى إبراهيم : الفكر السياسي الحديث والمعاصر ، ط 1 ، دار المنهل اللبناني ، بيروت ، 2011 ، ص 29 .
- (28) Strauss , Leo : Thoughts on Machiavelli University of Press , Chicago . 1978 . p 63 .

- (29) نيقولا ميكافيللي : الأمير ، تعريب خيرى حماد ، ط 11 ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1979 ، ص 144 .
- (30) إسماعيل زروخي : دراسات في الفلسفة السياسية ، ط 1 ، دار الفجر ، القاهرة ، 2001 ، ص 177 . وكذلك :
- جان توشار : تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط ، ج ٢ ، ط ١ ، ترجمة ناجي الدراوشه ، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق ، سوريا ، ٢٠١٠ ص ص 325 - 355 .
- (31) نيقولا ميكافيللي: الأمير ، مصدر سابق ، ص 97 .
- (32) مهدي محفوظ : اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1995 ، ص 25 .
- (33) Parel Anthony : Introduction , Machiavelli's Method and His Interpreters  
The Political Calculus Calculus Essay on Machiavelli's Philosophy  
,1999 pp 3 – 28 .
- Jamesl Wiser : Political Philosophy History of the Search for Order Library of  
Congress Cataloging in Publication data , USA , 1983 , pp 134 – 140 .
- (34) ميكافيللي: الأمير ، مصدر سابق ، ص 37 .
- (35) المصدر السابق ، ص 54 .
- (36) كافين رايلي : الغرب والعالم ، ترجمة عبد الوهاب المسيري وهدى عبد السميع حجازي ، مراجعه فؤاد زكريا ، عالم المعرفة الكويت ، 1986 ، ص 13 .
- (37) جورج سباين : تطور الفكر السياسي ، ترجمة راشد البراوي ، دار المعارف ، مصر ، 1971 ، ص 193 .
- (38) روبرت أغروس : العلم في منظوره الجديد ، ترجمة كمال خليلي ، عالم المعرفة ، الكويت ، عدد 134 ، 2011 ، ص ص 79 – 80 .
- (39) إسماعيل زروخي : دراسات في الفلسفة السياسية ، مرجع سابق ، ص 194 .
- (40) المرجع السابق ، ص ص 192 – 193 .
- (41) محمود أبو زيد : الشرعية القانونية وإشكالية التناقض بين السلطة والحرية ؛ دراسة تأصيلية لنظرية العقد الاجتماعي ، مكتبة غريب ، القاهرة ، 1990 ، ص 52 .
- (42) جان جاك شوفالبييه : تاريخ الفكر السياسي ، ط 2 ، ترجمة محمد عرب صاصيلا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، لبنان ، 1993 ، ص 326 .

- (43) إمام عبد الفتاح إمام : الأخلاق والسياسة دراسة في فلسفة الحكم ، مرجع سابق ، ص ص 270 - 271 .
- (44) إحسان عبد الهادي النائب : توماس هوبز وفلسفته السياسية ، ط 1 ، مكتبة الفكر والتوعية للاتحاد الوطني الكردستاني ، 2012 ، ص ص 121 - 122 .
- (45) Russel . Bertrand : A History of Western Philosophy ( London : Unwin Paperbacks , 1984 ) P: 607
- (46) جان توشار : تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة إلي عصر الأنوار ، ط 2 ، ترجمة ناجي الدراوشة ، ط 1 ، دار التكوين والتأليف والترجمة والنشر ، سوريا ، 2010 ، ص 44 .
- (47) بن صابر محمد ، بن حليم شوقي : الميكافيلية في الفكر الفلسفي الحديث والمعاصر ، مرجع سابق ، ص 154
- (48) محمود سعيد عمران : النظم السياسية عبر العصور ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1999 ، ص 316 .
- (49) المرجع السابق ، ص 316 .
- (50) نيقولا ميكافيلي : المطارحات ، مصدر سابق ، ص 138 .
- (51) إمام عبد الفتاح إمام : توماس هوبز ؛ فيلسوف العقلانية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1985 ، ص 430 .
- (52) عبسي رندة : تصور الدولة عند ميكافيلي وأثره في السياسة فكراً وممارسة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، 2119 ، ص 79 .
- (53) فريدريك نيتشه : إنسان مفرط في إنسانيه ، ج 2 ، ترجمة محمد الناجي ، إفريقيا الشرق للنشر والتوزيع ، المغرب ، 2001 ، ص ص 123 - 124 .
- (54) فريدريك نيتشه : إرادة القوة ، ترجمة محمد الناجي ، إفريقيا الشرق للنشر والتوزيع ، المغرب ، 2011 ، ص 326 .
- (55) ..... : هذا هو الإنسان ، ترجمة علي مصباح ، منشورات الجمل ، بيروت ، 2003 ، ص 152 .
- (56) ..... : عدو المسيح ، ترجمه جورج ميخائيل ، دار الحوار ، اللاذقية ، 2007 ، ص ص 26 .
- (57) بيير مونتبييلو : نيتشه وإرادة القوة ، ط 1 ، ترجمة جمال مفرح ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، 2010 ، ص 100 .
- (58) عبد اللطيف نبيل : فلسفة القيم نماذج نيتشوية ، ط 1 ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2010 ، ص 22 .

- (59) إبراهيم يسري : فلسفه الأخلاق فريدريك نيتشه ، دار التنوير ، بيروت ، 2007 ، ص 7 .
- (60) أحمد إدريس الطعان : أخلاق القوة بين المفهوم الإسلامي والغربي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية ، المجلد، العدد (3) ، 2011 ، ص ص 329 - 330 . وكذلك :
- عبد المجيد عبد التواب شيحه : فريدريك نيتشه فيلسوف ومربي ، حويله كليه التربية ، جامعه قطر ، العدد (14) 1997 ، ص ص 307 - 308 .
- (61) عيسي رنذة : تصور الدولة عند ميكافيللي وأثره في السياسة فكراً وممارسة ، مرجع سابق ، ص 81 .
- (62) اندري كرسون : المشكلة الأخلاقية والفلسفة ، مرجع سابق ، ص 31 .
- (63) فريدريك نيتشه : إرادة القوة ، ترجمة محمد الناجي ، إفريقيا الشرق للنشر والتوزيع ، المغرب ، 2011 .
- (64) صفاء عبد السلام جعفر : محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشه ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1999 ، ص 269 .
- (65) فريدريك نيتشه : هكذا تكلم زرادشت ، ترجمة محمد الناجي ، إفريقيا الشرق للنشر والتوزيع ، المغرب ، 2016 ، ص 134 .
- (66) ول ديورانت : قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي ، ترجمة فتح الله محمد المشعشع ، مكتبة المعارف بيروت ، 1988 ، ص 506 .
- (67) بيير مونتيسيلو : نيتشه وإرادة القوة ، مرجع سابق ، ص ص 119 - 220 .
- (68) اويغن فنك : فلسفة نيتشه ، ترجمه الياس بدوي ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، 1974 ، ص ص 192 - 193 .
- (69) فؤاد زكريا : نيتشه : ط 2 ، دار المعارف ، مصر ، 2011 ، ص 94 .
- (70) يوحنا قنبر : نيتشه النبي المتفوق ، منشورات دار المشرق ، بيروت ، 1986 ، ص 28 .
- (71) فريدريك نيتشه : أصل الأخلاق وفصلها ، ترجمه حسن يوسف ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1981 ، ص 32 .
- (72) نفس المصدر ، نفس الصفحة .
- (73) ول ديورانت : قصة الفلسفة ، مرجع سابق ، ص 25 .
- (74) عيسي رنذة : تصور الدولة عند ميكافيللي وأثره في السياسة فكراً وممارسة ، مرجع سابق ، ص 82 .
- (75) نهله محمود علي الزق الجمراوي : قراءة في مبادئ فلسفة نيتشه ، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية ، المجلد (10) ، العدد (3) ، 2017 ، ص 362 .
- (76) فريدريك نيتشه: عدو المسيح ، ترجمه جورج ميخائيل ، مصدر سابق، ص 49 وما بعدها .
- (77) عيسي رنذة : تصور الدولة عند ميكافيللي وأثره في السياسة فكراً وممارسة ، مرجع سابق ، ص 80 .

- (78) كافين رايلي : الغرب والعالم ، مرجع سابق ، ص 378 .
- (79) فريدريك نيتشه : هكذا تكلم زرادشت ، مصدر سابق ، ص 47 .
- (80) المصدر السابق ، ص 47 .
- (81) نيقولا ميكافيللي : فن الحرب ، ط1 ، ترجمة صلاح صابر زغول ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، 2010 ، ص 17 .
- (82) مختاري سعيدة وحاتي فتحة : أخلاق القوة عند مكيافيللي وتأثيرها علي الأنظمة السياسية المعاصرة ، جامعة جيلالي بونعامة خميس مليانة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، 2017 ، ص 55 .
- (83) مهدي محفوظ : اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث ، مرجع سابق ، ص 234 .
- (84) عدنان السيد حسين : تطور الفكر السياسي ، ط2 ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2009 ، ص 158 - 159 .
- (85) نيقولا ميكافيللي : فن الحرب ، مصدر سابق ، ص 19 .
- (86) هشام محمود الإقداحي : تاريخ الفكر السياسي ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2010، ص 97 .
- (87) مختاري سعيدة وحاتي فتحة : أخلاق القوة عند مكيافيللي وتأثيرها علي الأنظمة السياسية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص ص 57 - 58 .
- (88) توماس هوبز : اللفيانان ؛ الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة ، ط 1 ، ترجمة ديانا حرب ، وبشري صعب ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، الإمارات العربية المتحدة ، 2011 ، ص 176 .
- (89) أحمد إدريس الطغان : أخلاق القوة بين المفهوم الإسلامي والغربي ، مرجع سابق ص 334 .
- (90) أدولف هتلر : كفاحي ، ترجمة لويس الحاج ، ط2 ، بدون دار النشر ، 1995 ، ص ص 161 .
- (91) أحمد إدريس الطغان : أخلاق القوة بين المفهوم الإسلامي والغربي مرجع سابق ، ص 334 .
- (92) ديفيد فيشر : الأخلاقيات والحرب هل يمكن أن تكون الحرب عادلة في القرن الحادي والعشرين ، ترجمه عماد عواد ، عالم المعرفة ، يوليو ، 2014 ، ص 53 .
- (93) مختاري سعيدة وحاتي فتحة : أخلاق القوة عند مكيافيللي وتأثيرها علي الأنظمة السياسية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص 52 .
- (94) توماس هوبز : اللفيانان ؛ الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة ، مصدر سابق ، ص 133 .
- (95) أحمد إدريس الطغان : أخلاق القوة بين المفهوم الإسلامي والغربي، مرجع سابق ص 328 .
- (96) السيد سابق : عناصر القوة في الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1983، ص ص 3 - 4 .

- (97) سورة القصص : الآية ٢٦
- (98) أحمد إدريس الطغان : أخلاق القوة بين المفهوم الإسلامي والغربي، مرجع سابق ، ص 336 .
- (99) محمد عبد الله الشرقاوي : الكنز المرصود في فضائح التلمود ، مكتبة الوعي الإسلامي ، القاهرة 1990 ، ص 190 .
- (100) عبد العظيم المطعني : الإسلام في مواجهه الأيديولوجيات المعاصرة ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، 1987 ، ص 694 .
- (101) صبحي عبده سعيد : الحاكم وأصول الحكم في النظام الإسلامي ؛ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفكري ، دار الفكر العربي ، 1985 ، ص 122 .
- (102) المرجع السابق ، ص 94 .
- (103) عبد الحميد أحمد أبو سليمان : العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي بين المبدأ والخيار رؤية إسلاميه ، ط 1 ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2002 ، ص 60 .
- (104) محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ط 4 ، دار النفائس ، بيروت ، 1983 ، ص 107 .
- (105) المرجع السابق ، ص ص 139 - 140 .
- (106) عبد الحميد أحمد أبو سليمان : العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي بين المبدأ والخيار رؤية إسلاميه ، مرجع سابق ، ص 79 .
- (107) أنظر : محمد فوزي فيض الله : صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، 1996 .
- (108) أنظر : محمود خطاب : الرسول القائد ، ط 2 ، مكتبة الحياة ومكتبة النهضة ، بغداد ، 1960 .

## قائمة المصادر والمراجع

### أ : المصادر المترجمة إلى اللغة العربية .

- 1- أدولف هتلر : كفاحي ، ترجمة لويس الحاج ، ط2 ، بدون دار النشر ، 1995 .
- 2- ارنست باركر : النظرية السياسية عند اليونان ، ترجمة لويس اسكندر ، ج ١ ، مؤسسه سجل العرب ، القاهرة 1966 .
- 3- أفلاطون : جمهورية أفلاطون ، ترجمة حنا خباز ، دار القلم ، لبنان ، بدون تاريخ .
- 4- اندريه كرسون : المشكلة الأخلاقية والفلاسفة ، ترجمة عبد الحليم محمود ، وأبو بكر نكري ، دار الشعب ، القاهرة ، 1979 .
- 5- اويغن فنك : فلسفة نيتشه ، ترجمه الياس بدوي ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، 1974 .
- 6 - بيير مونتيبيلو : نيتشه وإرادة القوة ، ط 1 ، ترجمة جمال مفرح ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010 .
- 7- توماس هوبز : اللفيثان ؛ الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة، ط 1، ترجمة ديانا حرب، وبشري صعب ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، الإمارات العربية المتحدة ، 2011 .
- 8- جان توشار : تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط، ج ٢، ط ١، ترجمة ناجي الدراوشه، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ٢٠١٠ .
- 9- جان جاك شوفالبيه : تاريخ الفكر السياسي، ط 2 ، ترجمة محمد عرب صاصيلا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، لبنان ، 1993 .
- 10- جلال الدين السعيد: أبيقور الرسائل والحكم، دراسة وترجمة الدار العربية للكتاب، 1991.
- 11- جورج سباين : تطور الفكر السياسي ، ترجمة راشد البراوي ، دار المعارف ، مصر ، 1971 .
- 12- ديفيد فيشر: الأخلاقيات والحرب هل يمكن أن تكون الحرب عادلة في القرن الحادي والعشرين ، ترجمه عماد عواد ، عالم المعرفة ، يوليو ، 2014 .

- 13- روبرت أغروس: العلم في منظوره الجديد، ترجمة كمال خليلي، عالم المعرفة، الكويت، عدد 134، 2011.
- 14- فرانسوا غويغوار: المذاهب الأخلاقية الكبرى، ترجمة قتيبة المعروفي، منشورات عويدات، بيروت، ط 3، 1984.
- 15- فردريك نيتشه: عدو المسيح، ترجمه جورج ميخائيل، دار الحوار، اللاذقية، 2007.
- 16- ..... : إنسان مفرط في إنسانيه، ج 2، ترجمة محمد الناجي، إفريقيا الشرق للنشر والتوزيع، المغرب، 2001.
- 17- ..... : إرادة القوة، ترجمة محمد الناجي، إفريقيا الشرق للنشر والتوزيع، المغرب، 2011.
- 18- ..... : أصل الأخلاق وفصلها، ترجمه: حسن يوسف، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1981.
- 19- ..... : هذا هو الإنسان، ترجمة علي مصباح، منشورات الجمل، بيروت، 2003.
- 20- ..... : هكذا تكلم زرادشت، ترجمة محمد الناجي، إفريقيا الشرق للنشر والتوزيع، المغرب، 2016.
- 21- ..... : الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي، ط2، ترجمة سهيل القش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1982.
- 22- كافين رايلي: الغرب والعالم، ترجمة عبد الوهاب المسيري، وهدى عبد السميع حجازي، مراجعه فؤاد زكريا، عالم المعرفة الكويت، 1986.
- 23- نيقولا ميكافيللي: فن الحرب، ط1، ترجمة صلاح صابر زغلول، دار الكتاب العربي، دمشق، 2010.
- 24- والتر ستيس: تاريخ الفكر اليوناني، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة، القاهرة، 1984.
- 25- ول ديورانت: قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف بيروت، 1988.

## ب : المصادر الأجنبية .

- 1-Parel Anthony : Introduction , Machiavelli's Method and His Interpreters The Political Calculus Calculus Essay on Machiavelli's Philosophy , 1999 .
- 2-Jamesl Wiser : Political Philosophy History of the Search for Order Library of Congress Cataloging in Publication data , USA , 1983 .
- 3-Russel . Bertrand : A History of Western Philosophy ( London : Unwin Paperbacks , 1984.
- 4- Strauss , Leo : Thoughts on Machiavelli University of Press , Chicago, 1978 .

## ثانياً : المراجع .

### 1 : باللغة العربية .

#### أ- الكتب .

- 1- إبراهيم يسري : فلسفه الأخلاق فريدريك نيتشه، دار التنوير، بيروت ، 2007 .
- 2- إحسان عبد الهادي النائب : توماس هوبز وفلسفته السياسية، ط 1 ، مكتبة الفكر والتوعية للاتحاد الوطني الكردستاني ، 2012 .
- 3- إسماعيل زروخي: دراسات في الفلسفة السياسية، ط 1، دار الفجر، القاهرة ، 2001.
- 4- السيد سابق: عناصر القوة في الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت ، 1983.
- 5- السيد محمد بدوي : الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000 .
- 6- إمام عبد الفتاح إمام : الأخلاق والسياسة دراسة في فلسفة الحكم ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2011 .
- 7- ..... : توماس هوبز ؛ فيلسوف العقلانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة، 1985 .
- 8- أميرة حلمي مطر: الفلسفة عند اليونان تاريخها ومشكلاتها ، دار قباء، القاهرة ، 1988 .
- 9- حسن شحاته سغان: أساطين الفكر السياسي والمدارس السياسية، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1959 .
- 10- حسين حرب : الفكر اليوناني قبل أفلاطون، ط 1 ، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990.

- 11- حورية توفيق مجاهد: الفكر السياسي من أفلاطون إلي محمد عبده ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1986 .
- 12- زكي نجيب محمود ، أحمد أمين : قصة الفلسفة اليونانية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1966 .
- 13- صبحي عبده سعيد : الحاكم وأصول الحكم في النظام الإسلامي؛ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفكري ، دار الفكر العربي ، 1985 .
- 14- صفاء عبد السلام جعفر : محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشه ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999 .
- 15- عبد الإله بلقزيز: المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد 178 ، لبنان، 1993 .
- 16- عبد الحميد أحمد أبو سليمان: العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي بين المبدأ والخيار رؤية إسلامية، ط 1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2002 .
- 17- عبد الرحمن بدوي: خريف الفكر اليوناني ، مكتبة النهضة المصرية، ط 4، القاهرة، 1970 .
- 18- عبد الرحمن خليفة: أيديولوجيا الصراع السياسي، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1987
- 19- .....، ومنال أبو زيد: الفكر السياسي الغربي، أورينتال الإسكندرية، 2006.
- 20- عبد العظيم المطعني : الإسلام في مواجهه الأيديولوجيات المعاصرة ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، 1987.
- 21- عبد اللطيف نبيل : فلسفة القيم نماذج نيتشوية ، ط 1 ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2010 .
- 22- عبد المجيد عبد التواب شيحه : فريدريك نيتشه فيلسوف ومربي ، حوله كليه التربية ، جامعه قطر ، العدد (14) 1997 .

- 23- عبيسي رندة : تصور الدولة عند ميكافيللي وأثره في السياسة فكراً وممارسة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، 2119 .
- 24- عدنان السيد حسين : تطور الفكر السياسي ، ط2 ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، 2009 .
- 25- فؤاد زكريا: نيتشه : ط 2 ، دار المعارف ، مصر ، 2011 .
- 26- فيصل عباس: الفلسفة والإنسان، ط1، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، بيروت ، 1996
- 27- محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ط 4 ، دار النفائس، بيروت ، 1983 .
- 28- محمد عبد الله الشرقاوي : الكنز المرصود في فضائح التلمود ، مكتبة الوعي الإسلامي، القاهرة 1990 .
- 29- محمد عبد الرحمن مرحبا: المرجع في تاريخ الأخلاق، ط 1 ، جروس برس ، طرابلس، 1988 .
- 30- ..... : تاريخ الفلسفة اليونانية ؛ من بداياتها حتى المرحلة الهلنسية ، ط 1 ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، 1993 .
- 31- محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي أرسطو والمدارس المتأخرة ، دار النهضة العربية، ط 3 ، بيروت ، 1976 .
- 32- محمد علي محمد وعلي عبد المعطي محمد: السياسة بين النظرية والتطبيق، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984 .
- 33- محمد فوزي فيض الله: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، دار القلم ، دمشق، الدار الشامية، بيروت، 1996 .
- 34- محمد مهران رشوان : تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية ، دار قباء للطباعة والنشر ، 1998 .

- 35- محمود أبو زيد: الشرعية القانونية وإشكالية التناقض بين السلطة والحرية ؛ دراسة تأصيلية  
لنظرية العقد الاجتماعي، مكتبة غريب، القاهرة ، 1990 .
- 36- محمود خطاب: الرسول القائد، ط 2، مكتبة الحياة ومكتبة النهضة، بغداد، 1960 .
- 37- محمود سعيد عمران: النظم السياسية عبر العصور، دار النهضة العربية، بيروت،  
1999.
- 38- مختاري سعيدة وحارتي فتيحة : أخلاق القوة عند مكيا فيللي وتأثيرها علي الأنظمة  
السياسية المعاصرة ، جامعة جيلالي بونعامه خميس مليانة ، كلية العلوم الإنسانية  
والاجتماعية، 2017 .
- 39- مصطفى حلمي: الأخلاق بين الفلسفة وعلماء الإسلام ، ط 1، دار الكتب العلمية،  
بيروت، لبنان ، 2004 .
- 40- مهدي محفوظ : اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث ، المؤسسة الجامعية  
للدراستات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1995 .
- 41- موسى إبراهيم: الفكر السياسي الحديث والمعاصر، ط 1، دار المنهل اللبناني ، بيروت،  
2011 .
- 42- نجاح موسى: المنفعة الفردية عند توماس هوبز، ط 1، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر،  
إسكندرية، 2001 .
- 43- نيقولا ميكافيللي : الأمير ، تعريب خيرى حماد، ط 11 ، منشورات دار الآفاق الجديدة،  
بيروت، 1979 .
- 44- هشام محمود الإقداحي : تاريخ الفكر السياسي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية،  
2010
- 45- يوحنا قنبر: نيتشه النبي المتفوق ، منشورات دار المشرق ، بيروت ، 1986 .
- 46- يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، دار القلم ، بيروت ، بدون تاريخ .
- ب : المجالات العلمية .

- 1- أحمد إدريس الطعان : أخلاق القوّة بين المفهوم الإسلامي والغربي، مجلّة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونيّة ، المجلّد، العدد (3) ، 2011 .
- 2- بن صابر محمد ، بن حليم شوقي : الميكافيلية في الفكر الفلسفي الحديث والمعاصر، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية ، المجلد ( 9 ) العدد ( 4 ) 2021 .
- 3- نهله محمود علي الزق الجمراوي : قراءة في مبادئ فلسفة نيتشه ، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية ، المجلد (10) ، العدد (3) ، 2017 .

